الجزء الثاني من قصص

الجاسوسية في البلاد العربية





الفصل الخامس عشر

الفتاة العارية

الفتاة العارية

حدث ذات مساء من ايام سنة ١٩٤٢، وقبل ان تقع معركة العلمين «الشهيرة في الصحراء الغربية بين القوات الانكليزية التي كان يقودها الجنرال «مونتغمري»، وقوات المحور التي يقودها الفليد مارشال الالماني الشهير «رومل»، ان طلب الي، ان اذهب، ومعي عدد من رجال الشرطة، الى احد الفنادق الكبرى في القاهرة، لالقاء القبض على احد الانكليز المجانين، حيث وردت الانباء عنه بانه، تعقب احدى نزلاء ذلك الفندق، المدعوة «نوريسكا» عندما دخلت الحمام، فاقتحم باب الحمام عليها يريد بها سوءا، وكان من نتيجة ذلك ان تولاها الذعر، فراحت تجري امامه صارخة في ردهات الفندق وهي بالثوب الداخلي وحده ليس الا، الى ان تصدى له بقية نزلاء الفندق، فاوقفوه عن الامساك بها، وانقذوها من بين يديه.

وما ان وصلت الى ذلك الفندق حتى بادرني مديره، بان ثلة من رجال الانضباط العسكري الانكليزي، قد سبقتني الى الفندق فالقت القبض على ذلك المجنون واقتادته الى مركز القيادة الانكليزي للتحقيق معه في الحادث. ولما كان الضابط الذي تولى التحقيق في الحادث من زملائي المعروفين الذين زاملتهم في العمل عدة سنوات، فقد ذهبت اليه كي اتحرى حقيقة الحادث، واقف على اسبابه واسراره الخفية.

جلست الى زميلي ضابط التحقيق الذي اخذ يروي القصة من اصولها فقال «كانت نوريسكا» ومعها اخوها «فان زيلوك» من الجواسيس المعتمدين لدى الالمان، وقد انتحلا الجنسية البلجيكية، واقاما في ذلك الفندق، على اساس انهما من الاثرياء الذين يمضون ايام الصيف عادة في السياحة حول العالم.

ولما كانت الحرب قد نشبت وهما لا يزالان في مصر فقد اثرا ان يمكثا فيها الى ان يتسنى لهما السفر الى بلد آخر. كانت نوريسكا جميلة جذابة استغلت جمالها، وفتنتها الرائعة في اغراء نزلاء الفندق من الضباط الانكليز، والتودد اليه، وايقاعهم في شرك جمالها الفتان، وانتزاع ما لديهم من اسرار الحرب، وايصالها الى دول المحور اولا باول.

كانت الطريقة التي اتبعتها هذه الحسناء واخوها في ايصال الاخبار الى سلطات المحور فريدة وغريبة جدا في بابها. لقد ادعيا ان لهما اخا يعيش في تركيا يدير احد الملاهي في مدينة «انقرة» وكان يبعثان اليه في كل اسبوع برزم من الصحف والمجلات الانكليزية والامريكية بحجة الترفيه عنه. وكانت هذه الصحف والمجلات هي التي تحمل التقارير السرية التي كانا يبعثان بها، اذ ينتخبان من السطور المكتوبة في الصحف، الكلمات التي يتضمنها التقرير الذي يريدان ارساله بان يثقبا تلك الكلمات بدبوس. فحين تصل تلك الصحف الى اخيهما المزعوم، وما هو في الواقع الا جاسوس مثلهما، يقوم بجمع الكلمات المثقوبة بالدبوس، فيتألف اذ ذاك منها التقرير المرسل، وعندئذ يقوم بابلاغه بالشفرة او جهاز الارسال اللاسلكي الى السلطات العسكرية في برلين. ومع ان هذا البريد الذي كانا يرسلانه الى انقرة يخضع للرقابة فان دائرة الرقابة لا تشك فيه، او تشتبه في امره.

وقع اختيار هذه الفاتنة على واحد من ضباط المخابرات البريطانية النازلين في الفندق، دون غيره، نظراً للاهمية التي يتمتع بها، انه النقيب «نيفل» المكلف بنقل الخطط والتقارير العسكرية بين هيأة اركان القيادة الانكليزية في القاهرة، والقادة العسكريين في ميدان القتال.

لقد ركزت الفتاة واخوها انظارهما على ذلك الضابط، والقيا بشباكهما عليه، لكنهما لم يفلحا في انتزاع سر واحد مما يعرفه من الاسرار نظرا ليقظته وحرصه الشديدين.

كانت القيادة الانكليزية، قبل وقوع معركة العلمين الشهيرة، قد اعدت خطة محكمة لايقاف الزحف الالماني الايطالي المشترك باتجاه مصر، وتوجيه ضربة قاضية ضد قوات المحور في الشمال الافريقي، ولهذا راح «فان زيلوك» واخته يعملان ليل نهار لمعرفة تلك الخطة او الالمام ولو بطرف من اطرافها.

وصلت اليهما الانباء، من زملاءهما، بان هذه الخطة قد وصلت الى يد النقيب «نيفل» في مساء السبت، وانه سيطير بها الى القيادة في الميدان، يوم الاثنين القادم، وان الخطة قد اودعت في مظروف خاص كان «نيفل» يحمله دوما في جيب سترته دائما، مبالغة في الحرص عليه، ولذلك قررت «نوريسكا» واخوها ان ينتزعا من «نيفل» ذلك المظروف باية وسيلة قبل ان يصل الى القادة في الميدان.

في صباح يوم الاحد دعت نورسكا، النقيب «نيفل» الى ان يتناول الشاي معها ومع اخيها في غرفتهما بعد ظهر ذلك اليوم. وقد لبى الضابط تلك الدعوة، وصعد الى غرفة زيلوك في الموعد المحدد حيث وجده هو وشقيقته في انتظاره. جلس «نيفل» الى المائدة وما لبثت نوريسكا ان وقفت بينه وبين اخيها فصبت فنجانا من الشاي له واخر لاخيها واحتفظت بفنجان آخر لها نفسها. وما ان رفعت ذلك الفنجان الى فمها وكأنما تتذوقه حتى اسقطته من يدها فجأة على سترة النقيب «نيفل» فلوثها.

احس النقيب بلسعة الحرارة فخلع سترته، واذ ذاك تناولتها نوريسكا منه، وهي تعتذر عما حدث، وانبأته بانها سوف تعنى بتنظيف السترة، وخرجت بها من باب الغرفة فلم يعترض، وقد اذهلته المفاجأة نفس المظروف الخطير في جيب سترته.

لم تلبث نورسكا بعد فترة قصيرة ان عادت بالسترة الى نيفل فارتداها على

الفور وتحسس المظروف في جيبه فاطمأن الى وجوده، ثم نهض واستأذن في الانصراف شاكرا مضيفيه وعونهما. غير انه ما كاد يخرج من الغرفة، حتى لاحظ ان زيلوك واخته يحاولان الخروج منها ايضا، وذلك بقصد الهرب بالغنيمة التي حصلا عليها اخرج المظروف من جيبه فاذا هو مليء بقصاصات من اوراق الجرائد بدلا من الخطة العسكرية لمواجهة هجوم المحور. كاد يطير صوابه، ولذلك اسرع فاقتحم باب غرفة فان زيلوك شاهرا مسدسه وخاطبهما بقوله «لقد كشفت امركما ايها الجاسوسان الدنيئان! لقد سرقتما المظروف من جيبي لكنكما لن تستطيعا الخروج من هنا سالمين» رد فان زيلوك بمنتهى البرودة يقول «لست افهم شيئا مما تقوله ياسيدي، ماذا حدث لك؟.

- لقد سرقت اختك المظروف من جيبي وابدلته بآخر فيه قصاصات من ورق الجرائد، ولقد اكتشفت لعبتكما اللعينة!

- لكنك لن تحصل على مظروفك ياسيدي، ولن تستطيع يدك ان تصل اليه وهو في مخبئه الامين.

- انت واهم.

تقدم «نيفل» ففتش ملابس فان زيلوك بدقة فلم يعثر فيها على شيء، ثم عاد وفتش الغرفة باكملها دون جدوى، واذ ذاك قال له فان زيلوك مستهزئا.

بقى شيء واحد لم تفتشه ياسيدي النقيب!

- وما هو هذا المكان ايها الشيطان؟

- انه صدر شقيقتي!

تقدم النقيب نيفل الى «نوريسكا» يريد تفتيشها، فاذا بها تخلع ملابسها وتبقى بقميصها الداخلي حسب، وتفتح باب الغرفة، وتروح تعدو في ممرات الفندق وابهائه صارخة مستغيثة، مدعية بان النقيب ينوي بها شرا حتى تجمع النزلاء وامسكوا به، وانقذوها من يديه، وهي تصرخ وتقول بانها ذهبت الى الحمام ونسيت ان تغلق بابه فاذا بالنقيب يقتحم الحمام، ويحاول الاعتداء عليها فولت منه هاربة بملبسها الداخلي.



ولكي لا ينكشف امره سكت نيفل على مضض وبقي ساكنا كالابكم مما جعل الناس يتهمونه بالخبل. وحدث آنذاك ان مر رجال الانضباط العسكري البريطاني بالفندق، فاطلعوا على الحادث فاقتادوا النقيب نيفل معهم الى ادارة المخابرات البريطانية ليسرد على رجالها تفاصيل ما حدث.

في اليوم التالي وجد النقيب نيفل ميتا في محبسه بادارة المخابرات البريطانية، كما هربت نوريسكا واخوها بالخطة من الفندق بسلام، واذ ذاك لم يكن امام القيادة البريطانية الا ان تؤخر هجومها المرتقب في جبهة العلمين وان تضع خطة اخرى بدلا عنها.

بعد ان نجحت الخطة العسكرية البريطانية في وقف زحف المحور، وتحطيم قواته في الصحراء الغربية ومطاردتها الى داخل ليبيا، وتم النصر للحلفاء، استطاعت القوات البريطانية القاء القبض على نوريسكا واخيها فان زيلوك في ليبيا وكانا يحاولان الهرب الى فلسطين. وحين اجري التحقيق معهما تبين ان النقيب نيفل مات مسموما وذلك بالسم بطيء المفعول الذي وضعه فان زيلوك في فنجان الشاي الذي تناوله «نيفل» وهكذا انتهت هذه المغامرة العجيبة من مغامرات الجاسوسية بالنتيجة المعلومة دائما وهي قطع رأس فان زيلوك واخته بالمقصلة وهو المصير الذي ينتظر الجواسيس دائما في اغلب الاحيان.

الفصل السادس عشر

محاولة اغتيال مونتغمري

محاولة اغتيال مونتغمري!!

احتفلت القوات الانكليزية في مصر، لاول مرة، بعيد الميلاد، ليلة الرابع والعشرين من شهر كانون الاول سنة ١٩٤٢، منذ ان بدأت الحرب العالمية الثانية. وكان ذلك الاحتفال بهيجا وواسعا، ذلك لانه يأتي في اعقاب اندحار قوات المحور في معركة العلمين وتراجعها امام الجيش الانكليزي الثامن الذي كان يقوده الجنرال روبرت مونتغمري.

ولقد استعدت فنادق القاهرة وانديتها وملاهيها استعدادا واسعا للمشاركة في هذا الاحتفال، بما ادخلته من وسائل الزينة والزخرفة والابتهاج، ووفرته من وسائل اللهو والتسلية، سيما وان القاهرة كانت في الايام التي تلت الانتصار في معركة العلمين، تغص بالجنود البريطانيين الذين كانوا ينتشرون باعداد هائلة في الاسواق والمشارب والمطاعم، ومحلات الرقص وما الى ذلك من وسائل اللهو العديدة.

وحين كنت اجلس الى مكتبي دق جرس الهاتف فاذا بالمتحدث هو النقيب «هايلتون» من ضباط ادارة المخابرات البريطانية في القاهرة، وهو يطلب الي ان اوافيه على عجل في احد الفنادق القاهرية، واذ بلغت الفندق وجدته يموج بكبار الضباط، وكان الوجوم والقلق يخيم على الموجودين فيه. واستقبلني

النقيب «هايلتون» ثم انتحى بي في احدى الزوايا، وراح يحدثني عن محاولة اريد بها اغتيال الجنرال مونتغمري، حيث شرع يقص لي القصة على النحو الآتي:

كان معروفا ان الجنرال مونتغمري، سوف يحضر حفلة في السفارة البريطانية هذه الليلة ومن ثم يعود الى نفس ذلك الفندق ليبيت فيه ليلته، ثم يغادر القاهرة عند الصباح الى بلدة «الفيوم» ليمضي عطلة عيد الميلاد على ضفاف بحيرة «قارون» هناك.

وفي الساعة الثانية من مساء ذلك اليوم، وحين ذهب مونتغمري الى السفارة البريطانية لحضور الاحتفال، وصل الى الفندق احد العسكريين البريطانيين من مكتب البريد العسكري الانكليزي، وهو يحمل صندوقاً صغيرا من سيجار «الهافانا» الشهير، وصل لتوه من لندن بالطائرة، هدية من والدة مونتغمري له بمناسبة العيد، واذ ذاك اقدم مراسل الجنرال على تسلم ذلك الصندوق، والصعود به الى الغرفة رقم ١١٨ في الطابق الثاني من الفندق، وهي التي تقرر ان ينزل فيها مونتغمري ويبيت ليلته تلك.

بعد انقضاء ساعتين على صعود المراسل الى الغرفة، لاحظ احد الخدم في الفندق وجود دخان يتصاعد من فتحات باب الغرفة ١١٨، فاشتبه في الامر، وحين فتح الباب وجد المراسل «غوردون» ملقى على الارض جثة هامدة والى جانبه سيجار مشتعل وقد سرت منه النار الى البساط الموضوع على ارضية الغرفة. اطفأ الخادم النار ثم اغلق باب الغرفة وهرع الى مدير الفندق لينبأه بما رآه حيث قام مدير الفندق هو الآخر بابلاغي بالحادث.

شرعت انا وزملائي بالتحقيق لمعرفة جلية الامر، وبأمل العثور على الجاني الحقيقي. ولقد ظهر من التحقيق ان مراسل الجنرال مونتغمري كان ثملا ولذلك تجرأ ففتح صندوق السيجار فتناول واحداً منه وشرع يدخنه فكان في ذلك هلاكه، وكاد يشعل النار في الغرفة. وقد ظهر ايضا ان جميع السجار الموجود في ذلك الصندوق كان يحتوي على سم فتاك، وانه لو حدث ان تناول مونتغمري واحدا منه لفقد حياته، واذن فإن الموضوع يتعلق بمؤمراة كبرى كانت تستهدف حياة مونتغمري.

ومن باب الاحتياط اتصل النقيب، «هايلتون» بالسفارة البريطانية، وانبأها بما كشف عنه التحقيق وطلب اليها ان توفر مبيت الجنرال مونتغمري فيها. طلب الي النقيب هايلتون ان نقوم باستجواب مدير الفندق وخدمه، وشاركنا في ذلك بعض الكبار من الضباط البريطانيين حيث وفدنا على المدير في غرفته وبدأنا التحقيق معه بمنتهى الدقة والحصافة، ولكننا رغم ذلك لم نفز بطائل، ولم نعثر على اي خيط يقودنا الى سر الجريمة

× × ×

تقرر آنذاك ان ينصب تحقيقنا على مكتب البريد العسكري البريطاني الذي جيء منه بالصندوق، فاسرعنا بالذهاب الى هناك مصطحبين معنا مدير الفندق، غير اننا وجدنا المكتب مغلقا بسبب حلول عطلة الميلاد، ولم نجد فيه من احد سوى الحارس الذي يقف بالباب.

ومع ذلك فقد استطاع النقيب هايلتون، في غضون نصف ساعة، ان يجمع كل موظفي مكتب البريد من الضباط والجنود، وان يعرضهم على مدير الفندق، الذي اخذ يتفحص كل واحد منهم جيدا، ويدقق في ملامحه وهيئته، ولكنه لم يجد بينهم ذلك العسكري الذي جاء بالصندق الى الفندق وهنا قال الضابط الانكليزي مدير مكتب البريد، ان ما قاله مدير الفندق صحيح ذلك لان الذي حمل الصندوق هو «نلسون» الذي لم يعد الى المعسكر حتى الآن رغم انه يعرف جيدا باننا كنا نحتفل الليلة بعيد الميلاد.

وهنا طرح النقيب هايلتون على مدير مكتب البريد سؤالا يقول فيه «ومن الذي سلم الصندوق ياترى الى نلسون عند وصوله الى مكتب البريد؟» ورد مدير المكتب يقول «لقد سلمته الصندوق انا بنفسي، وكان ذلك في منتصف الساعة السادسة وعقب وصوله مباشرة، حيث حمله نلسون وانطلق به على دراجته البخارية مسرعا نحو الفندق».

وعاد هايلتون يسأل مدير مكتب البريد «ومن الذي احضر الصندوق الى المكتب؟» وكان جواب المدير قوله «انا تسلمته بنفسي! فقد كنت على الدوام

اتوجه الى المطار، عند قدوم طائرات البريد، فاتسلم البريد القادم واستعمل سيارة عسكرية مصفحة زيادة في الحذر والطمأنينة.

توقف التحقيق عند هذه النقطة الى ان يعود «نلسون» الى المعسكر. وفي طريق العودة الى الفندق قال لي النقيب هايلتون «اكبر ظني ان التلاعب في السيجار حصل اثناء نقل الصندوق الى الفندق، وليس في مكتب البريد كما اعتقد. وقد يكون «نلسون» شريكا لليد الخفية التي دست السم في السيجار، او انه قد اغتصب منه بالقوة اثناء الطريق من مكتب البريد الى الفندق، واخشى ان يكون قد حصل لنلسون هذا حادث، وعلى كل فلسوف يتضح غدا كل شيء.

مضى اسبوع على ذلك قابلت في نهايته النقيب «هايلتون» فوجدته منشرح الاسارير، مبتهج القلب. وما ان رآني حتى بادرني فورا بقوله «لقد قبضت على الفاعل المجرم وانتزعت منه الاعتراف الكامل عن جريمته تلك.

عاد نلسون الى المعسكر في الساعة الرابعة صباحا، وهو في حالة اعياء شديد، وقد افضى الي بانه ما كاد يسير في الشارع الذي يقع مكتب البريد فيه، حتى اعترضت الطريق المظلم امامه سيارة فاضطر الى الوقوف بدراجته، وما كاد يقف حتى تلقى ضربة قوية على مؤخرة رأسه، فقد على اثرها وعيه، حتى اذا استفاق وجد نفسه ملقى على الرمال في منطقة العباسية الصحراوية، والى جانبه دراجته البخارية، اما صندوق السيجار فقد اختفى، غير انه لم ير احدا في تلك السيارة التي اعترضت طريقه، كما انه لم ير الشخص الذي فاجأه بالضرب من الخلف.

وحين اخذ نلسون الى الطبيب وفحصه هذا فحصا دقيقا اعطى قراره بان الرجل مصاب بشج في رأسه، وانه قد نجا من الموت باعجوبة ولذلك فلم يعد امام هايلتون اي اساس للشك فيه، ولكن حين عرض نلسون على مدير الفندق، ذكر هذا بأن نلسون لم يكن هو الرجل الذي جاء بصندوق السيجار الى الفندق.

في اليوم التالي اصر الجنرال مونتغمري على السفر الى الفيوم والتجول على ضفاف بحيرة قارون، كما اصر على ان لا يصحبه احد في تلك السفرة سوى مرافقه الخاص. وهنا جال في فكر هايلتون بان الذين حاولوا اغتيال مونتغمري عن طريق دس السم في السيجار، لا بد وان يطاردوه الى بحيرة «قارون» واذن فلا بد من وضع خطة حكيمة لاحباط المؤامرة عند البحيرة، بعد ان فشلت مؤامرة الاغتيال عن طريق السيجار المسموم. وعلى هذا الاساس استطاع هايلتون ان يقابل الجنرال مونتغمري ويكشف له سر المؤمراة ضده عن طريق السيجار المسموم، وان يشرح له الخطة التي وضعها لمراقبة المتآمرين عندما يذهب الجنرال الى بحيرة قارون، فوافق مونتغمري على الخطة، وترك للنقيب هايلتون مطلق الحرية في التصرف للكشف عن الجاني.

وصل مونتغمري الى الفيوم صباحا كما كان مقرراً ذلك من قبل وامضى اليومين الاول والثاني دون ان يحدث ادنى شيئ يلفت النظر. وفي مساء اليوم الثالث لوجوده في الفيوم خرج مونتغمري يتريض لوحده، كالعادة، على شاطئ بحيرة قارون، فاذا بطلق يشق الفضاء، ويمر على بعد اقل من ذراع من الاذن اليمنى للجنرال. اسرعت مع جماعتي من الضباط الذين تنكروا في ثياب القرويين، وكمنوا في بعض الاخاديد على الشاطئ، فوجدت مونتغمري يخوض صراعا عنيفا مع الشخص الذي اطلق النار عليه في الظلام، وقد استطاع مونتغمري، قبل وصول النجدة اليه، ان يتغلب على المجرم وينتزع المسدس من يده. القيت القبض على المجرم واوثقت وثاقه، ثم تقدمت الى الجنرال فصافحته وشددت على يديه وانا اقول «حسنا ياشارمان! لقد اجدت التمثيل، واثبت مقدرة فائقة في تحمل الاخطار. واذ ذاك ضحك النقيب هايلتون وقال «انه ليس الجنرال مونتغمري، بل انه احد الزملاء الذين كانو يشبهون مونتغمري شبها كبيرا. اما مونتغمري فانه لم يقدم الى الفيوم اطلاقا وبقي في القاهرة ينتظر نتيجة المغامرة. لقد اتضح ان الشخص الذي حاول اغتيال مونتغمري مرتين، جاسوس الماني يدعى «فريد فراينبرغ» كان ينتحل

الجنسية الفرنسية، ويعمل سكرتيرا لمدير احدى الشركات الاجنبية في القاهرة. وعند التحقيق معه اعترف بانه هو الذي اعترض طريق «نلسون» عندما عاد من مكتب البريد الى الفندق فضربه على رأسه ضربة اذهلته، ومن ثم تزيا بزي عسكري بريطاني وحمل بنفسه صندوق السيجار، بعد ان دس السم فيه، الى الفندق وسلمه الى مدير الفندق ذاته، وقد شخصه مدير الفندق عندما عرض عليه. كذلك كشف التحقيق ايضا بانه كان لفاينبرغ هذا ولد، هو الوحيد لديه، في الجيش الاول وقد قتل في معركة العلمين، فقرر ان ينتقم من الانكليز باغتيال قائد معركة العلمين نفسه، الجنرال مونتغمري.



الفصل السابع عشر

الكتابة السرية

الكتابة السرية

كنت آنذاك اعمل في مكتب الشرطة بميناء «بور توفيق» في السويس. وفي صباح اليوم الثامن عشر من شهر حزيران سنة ١٩٤٣ دق جرس التلفون في مكتبي وكان المتكلم هو الرائد «جون وود هامز» مدير مكتب المخابرات البريطانية بمنطقة السويس، وهو يطلب مني ان اكون على استعداد لمرافقته في مهمة سرية في مساء ذلك اليوم، وان اختار خبيرا في فتح الاقفال، يكون امينا، وماهرا في عمله بحيث لا يترك اي اثر يدل على فتح القفل، وكاتما للسر في ذات الوقت كيما يعاوننا في عملنا ذاك.

رحت افتش عن خبير تتوفر فيه مثل هذه الاوصاف، وسرعان ما اهتديت الى «سليمان ابو المجد» وهو لص مشهور اشتهر بفتح ابواب البيوت بمفاتيح مصطنعة، وسرقة ما فيها، وقد القي القبض عليه في احدى المرات، وتم تجريمه، ثم تاب بعد ان انهى عقوبته. وعلى هذا الاساس بعثت بمن يجلب الي «سليمان ابو المجد» في مكتبي، وانبأته بما يراد منه، وبقينا ننتظر الى ان وفد علينا الرائد «وود هامز» بسيارته في منتصف الليل، واذ ذاك ركبنا السيارة ومضينا الى شاطئ البحر حيث تقوم الاكشاك الخشبية العديدة على الشاطيء لتصبح بمرور الايام مساكن بعد ان كانت محلات للسباحة والنزهة، قبل قيام الحرب.

تركنا السيارة في احدى النقاط ثم سرنا مشياً على الاقدام مسافة غير قصيرة، حتى وصلنا الى كشك قائم عند حاجز الاسلاك الخارجي، الذي يفصل بين المنطقة المخصصة لسكنى ضباط الجيش البريطاني، وتلك التي يسكنها المدنيون، وعندئذ همس «وود هامز» في اذني يقول «سنقوم بتفتيش هذا الكشك. دهشت لما قاله «وود هامز»كثيرا، ذلك لانني كنت اعرف الشخص الذي يسكن ذلك الكشك، وهو رجل مالطي طيب القلب يدعى السيد «غودوين» ويعمل موظفا بمكتب النقل البحري البريطاني هناك. وفي لحظة بدأ سليمان عمله فاستطاع ان يفتح قفل باب الكشك، فشكره وود هامز وهنأه على حذقه ومهارته، ثم قال له «اننا سندخل الكشك وينبغي عليك أن تغلقه وراءنا وتعيده الى حاله الاولى، ثم تقف في الخارج لتراقب الوضع، ؛ وتنذرنا بطرقتين خفيفتين اذا ما لمحت قدوم احد، او حدوث اي حادث، ومن ثم تختفي، وتستمر في مراقبة الوضع، وحين يزول الخطر تطرق الباب طرقة واحدة وحين نرد عليك من الداخل بثلاث طرقات عليك ان تفتح الباب لاننا نكون بهذا قد انهينا مهمتنا.

اغلق سليمان الباب علينا كما امرناه بذلك. كان الكشك مؤلفا من غرفتين وردهة ضيقة من القماش الاسود. . دخلنا احدى الغرفتين، ففتحت زر الضوء الكهربائي في الغرفة، فاذا بي اسمع صوتاً يهتف «اطفئ الضوء! اطفئ الضوء. انه صوت حارس الاستطلاع الذي يراقب الالتزام بتطبيق قواعد اطفاء الانوار في ذلك الوقت، نظرا للوقاية من الغارات الجوية التي كانت تحدث في تلك الأيام.

اسدلت الستارتين المصنوعتين من القماش على نافذتي الغرفة، فحجبت النور عن الخارج تماما، واذ ذاك بدأ «وود هامز» بتفتيش الغرفة، التي لم يكن فيها الا سرير صغير، وكرسي ومنضدة. واذ طلبت اليه ان يسرع في التفتيش، رد علي مطمئنا يقول «لا تخف ان غودوين قد سافر الى الاسكندرية صباح اليوم ولن يعود قبل مساء الغد. !!

واذ انتهينا من تفتيش الغرفة الاولى، دخلنا الغرفة الثانية التي كانت اوسع من الاولى، وفيها سريران، وصوان ثياب، ومكتب، ومنضدة وبضعة كراسي. كانت ستائر النوافذ السوداء مسدلة عليها، واذ ذاك اتجه وود هامز الى المكتب اولا فاخذ يفحص كل ورقة فيه باناة وحرص شديدين. لم يكن بين اواق هذا المكتب ما يلفت النظر سوى رزمة من الرسائل المرسلة من زوجة غودوين المقيمة في الاسكندرية، وهي مكتبوبة باللغة الانكليزية، وليس فيها ما يثير الاهتمام بها.

كان للمكتب ثلاثة ادراج. فتح «وود هامز» الدرج الاول منها فوجده يغص باكداس من ورق الكتابة الابيض، ووجد في الدرج الثاني بضعة اقلام للكتابة، ومسطرتين، وثلاث محابر من حبر مختلف الالوان، اما الدرج الثالث فقد كان مليئا برسائل اخرى من زوجة غودوين موجهة اليه.

وعلى حين غرة سمعنا طرقتي الانذار المتفق عليها، على الباب، فبادرت الى اطفاء الانوار، وهمس وود هامز في اذني بأن علينا ان نختبئ تحت السريرين، كل تحت سرير، ونرقب ماسوف يحدث. اختبأنا كل واحد منا تحت احد السريرين، وفي يد كل واحد منا مسدسه استعداداً لاية مفاجأة، ثم حبسنا انفاسنا انتظارا لما سوف يقع. وسرعان ماسمعنا صرير المفتاح في القفل، ووقع حذاء ثقيل ادركنا منه انه حذاء لرجل عسكري. دخل القادم الغرفة، واغلق الباب من ورائه، لكنه لم يفتح الضوء فيها، وانما سمعنا وقع اقدامه وهو يتجه الى صوان الثياب ليحرك شيئا ما فيه احدث صوتا خافتا، ومن ثم اعاد ذلك الشئ الى مكانه والذي احدث ذات الصوت عند اول مرة.

اعقب ذلك قيام الداخل باغلاق الصوان، ثم اتجه الى المكتب، فوضع عليه شيئا ما، ثم استدار وخرج من الغرفة، ومن ثم غادر الكشك بعد ان اغلق بابه مثلما كان عليه قبلا، واذ ذاك راح سليمان يطرق طرقة الامان التي اتفقنا معه عليها.

وحينذاك خرجنا من مخابئنا تحت السريرين فأضأت نور الغرفة، والتقط

«وود هامز» ذلك الشيء الذي وضعه الداخل على الكتب فاذا به ريشة عادية للكتابة، وما ان امعن النظر فيها، وفحصها بدقة، حتى لمعت عيناه من الفرح وهتف قائلا «انظر هذا السن! انظر الى تلك الكرة الدقيقة في طرفه» واذ امسكت بالريشة ورحت افحص سنها جيدا، وجدت انه لم يكن مشقوقاً من الوسط، كما هي العادة ، وانه كان مصنوعا من البلاتين ولم تكن عليه اية كتابة او حروف، واذا التفت الى «وود هامز» متسائلا عن سر هذه الريشة اجاب «ستعرف كل شيء فيما بعد» .

انهمك وود هامز في فتح صوان الثياب الذي لم يكن مغلقاً، واخذ يتفحص كل جانب من جوانبها، ويدقق في اجزائها وامضى في ذلك الفحص والتدقيق وقتا غير قصير، واذ ذاك بدأ على محياه بانه لم يهتد الى السر، وبان عليه اليأس والاخفاق. وحين استند بذراعيه على الشق الايسر من صوان الثياب، وفتح فمه لكي يبدأ الحديث معي ، سمعنا ذلك الصوت الخافت الذي سمعناه من قبل، فنظرنا الى الصوان فاذا بالقسم الاعلى من الشق المذكور فيه يهبط الى اسفل، فتبين من جراء ذلك فتحة في الصوان، وجدنا فيها مجموعة من اوراق كلها بيضاء اللون لا اثر للكتابة او الحروف عليها.

التقط وود هامز تلك الاوراق، وهو يكاد يرقص من الفرح وهتف بي يقول «وجدتها ! وجدتها ! هيا بنا لنسرع في الخروج من هنا !» لف وود هامز الاوراق البيضاء التي عثر عليها في فتحة الصوان، بصحيفة كانت على المنضدة ثم تناول مني الريشة، فوضعها في جيبه، وهم بالخروج. وحين سألته الانقفل الباب من ورائنا، اجاب «لاداعي الى ذلك الآن. المهم هو ان نغادر الكشك» .

طرقنا على الباب ثلاث طرقات ففتح سليمان الباب وخرجنا، واسرع سليمان فاغلق باب الكشك بالقفل مثلما كان اول مرة، وحين ذاك التفت الي «وود هامز» وقال ان لدي مهمة اخرى في المنطقة المجاورة لسكنى الضباط وعليك ان تنصرف انت وسليمان الآن. عدت الى «وود هامز» في اليوم التالي الى ملاقاته في مكتبه فاستقبلني هاشا وصرح لي بان اجلس الى جواره واخذ يقص علي القصة التالية .

كان «غودوين هلتز» وهو من جزيرة مالطة يقيم في هذه الجـزيرة منـذ ميلاده فيها سنة ١٩٣٦ . وكان يدير معملا لتقطير الخمور، عير انه لم يوفق في عمله ذاك. واذ كان له شقيق يعمل دلالا في بورصة القطن في الاسكندرية، فقد كتب اليه يسأله العون، فنصحه اخوه هذا بان يتوجـه الى الاسكندريـة للعمل معه في بورصة القطن هناك، وعلى هذا الاساس باع «غودوين» معمله في مالطة ورحل مع زوجته الى الاسكندرية واقاما فيها.

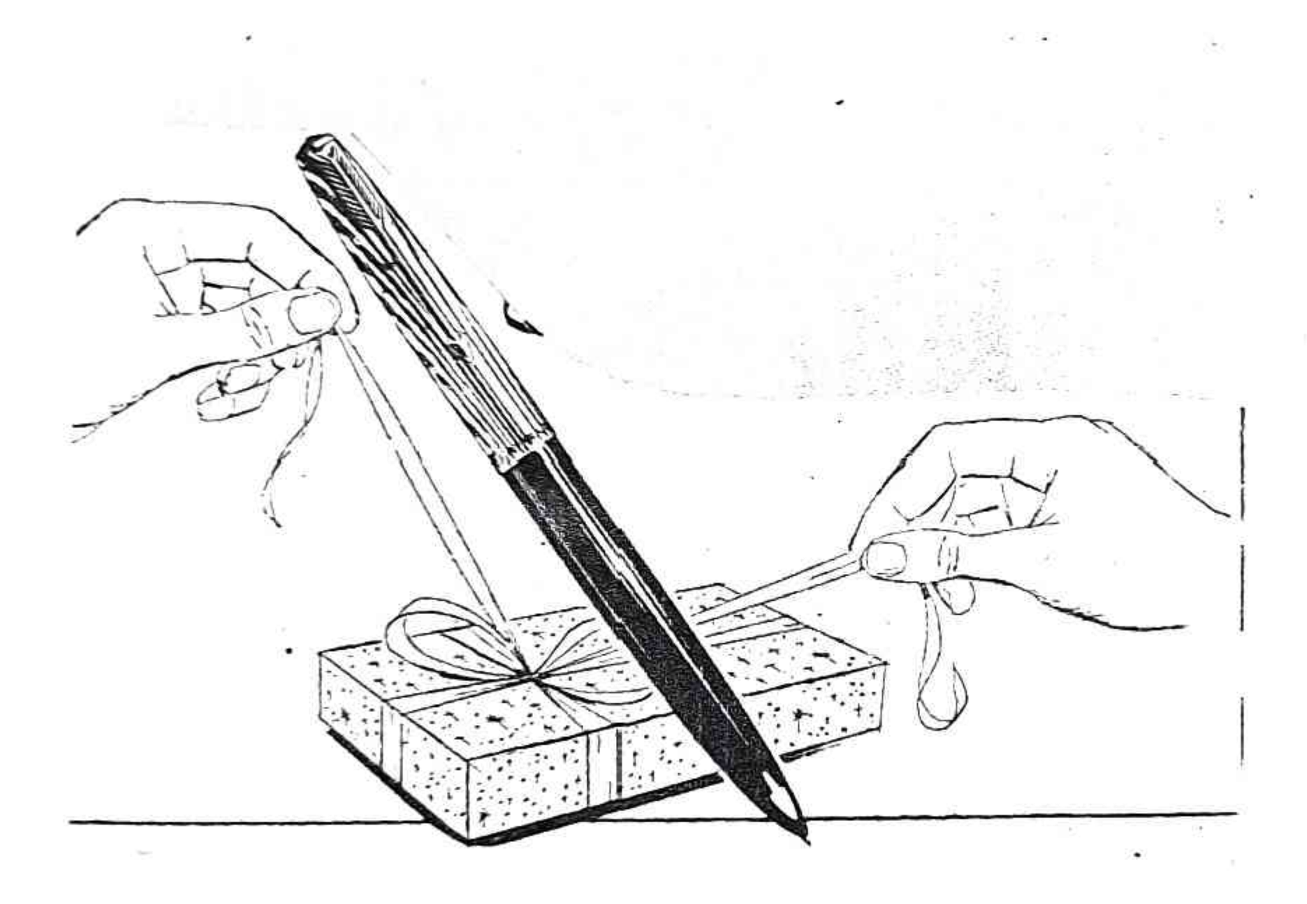
وحين نشبت الحرب العالمية الثانية جند شقيقه مع من تم تجنيدهم من الرعايا البريطانيين. ونظراً لعدم لياقة غودوين نفسه للخدمة العسكرية فقد الحق بعمل كتابي في مكتب مدير النقل البري البريطاني في ميناء «بور توفيق» بينما بقيت زوجته في الاسكندرية تدير «اليار» الصغير الذي تملكه، حيث كان زوجها يتردد عليها في عطلة الاسبوع.

اقام غودوين في الكشك الذي فتشناه على شـاطئ السويس في بـور توفيق، وشاءت الصدف ان يكون هذا الكشك مجاوراً لذات الكشك الذي يقيم فيه رئيس مكتب النقل البري البريطاني، وهو السيد اندرسون، والذي يقع في المنطقة المخصصة لسكنى الضابط البريطاني. وفي احدى ملاهي مدينة السويس تعرف «غودوين» الى احد عملاء المحور الذي اغراه بالمال، واغواه بالخيانة، والذي ذكر له ان كل ما يطلبه منه هو ان يزوده بالتقرير الذي عكف رئيس المكتب العقيد اندرسون على وضعه، بشأن تهيئة مخازن جديدة للتموين والذخيرة للجيش البريطاني في الشرق الاوسط.

اخذ غودوين يفكر في الوسيلة التي يستطيع بها سرقة التقرير المذكور او نسخة منه، فوجد ان هذا الامر يصعب عليه، واذ ذاك لجأ الى طريقة اخرى هي ان يحاول الحصول على كل جزء من التقرير تم وضعه. ولكي يحقق ذلك، استطاع ان يغري مراسل العقيد اندرسون بان يوافيه بذلك الجزء من التقرير، وبعد ان يصنع نسخة منه يعيده اليه ليدعه هذا في المكان الذي يضعه فيه العقيد اندرسون، وهو سقف غرفة نومه في الكشك.

كان هذا المراسل ويدعى «تشالـرز» ينقل الجـزء الذي يعـثر عليه من التقرير بتلك الريشة التي لم يكن فيها شق، والتي لاتغمس في المداد وانما تترك على الورق الابيض، رضوضا لاترى فاذا ماتم تبخير الورقة المرضوضة بتلك الريشة ببخار مادة «اليود» ظهرت الكتابة واضحة.وفي تلك الليلة التي غادر فيها «غودوين» السويس الى الاسكندرية بعد ان تلقى برقية تنبؤه بمرض زوجتـه هناك، اعطى مفتاح الكشك الى المراسل «تشالرز». لكي ينقل الجزء الباقي من التقرير ويخفيه مع بقية الاجزاء الاخرى السابقة في صوان الثياب•كان وقع الاقدام التي احسسنا بها ونحن مختفين تحت السريرين في غرفة «غودوين» هو وقع اقدام المراسل «تشالرز» الذي اتى بالقسم الاخير من التقرير، واودعه مع بقية الاجزاء الاخرى، ومع الريشة في الفتحة السرية في الصوان كـان ذلك التقرير مهما جدا ذلك ان رئيس مكتب النقل الحربي، العقيد اندرسون، قد فصل فيه الخطة الكاملة لانشاء مخازن التمـوين والذخيـوة الخاصـة بالجيش البريطاني في الشرق الاوسط، في جزيرة مالطا.

ولو وصل ذلك التقرير الى ايدي المحور لاطلق الالمان والطليان الاف الطائرات والغواصات لتـدمير تلك المخـازن، بل ولتخـريب جزيـرة مالـطا برمتها، ولاصيبت بريطانيا بكارثة جديدة تضاف الى الكوارث العديدة التي كانت تتعرض لها في تلك الايام. وهكذا اكتشف سر الكتابة الخفية، واعترف «غودوين» و«تشالرز» بجريمتهما ونالا العقاب الذي كان ينتظرانه وهو الموت من دون شك.



الفصل الثامن عشر





المهراجا المزيف

حدث في شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٢ حين اشتدت الغارات الالمانية على القاهرة، ان لاحظ احد مراقبي الوقاية المدنية في مدينة القاهرة ان هناك اشعاعات من الضوء كانت تنبعث اثناء الظلام الذي يعقب الانذار بوقوع غارة جوية، من نافذة في الطابق الثالث لاحد الفنادق الكبرى في القاهرة، كما لاحظ ذلك المراقب، وللمرة الثالثة، بان تلك الاشعاعات تظهر بصفة متقطعة، في نفس الوقت الذي تحلق فيه الطائرات المغيرة فوق ذلك الفندق.

وفي آخر مرة لاحظ فيها المراقب تلك الاشعاعات، قدم الى مدير الفندق المستر ادوارد، ليخبره بما شاهده، ثم اخذه الى الشارع واراه النافذة التى كانت الاشعاعات تنبعث منها اثناء الغارات. دهش مدير الفندق مما سمعه وذكر للمراقب بان كل ما يعرفه هو ان هذه الغرفة التي ينبعث منها الاشعاع هي الغرفة ٢٤٥ في الفندق، وفي هذه الغرفة يقيم منذ شهور احد كبار الهنود المعروفين مع افراد اسرته، ويدعى «المهراجا نابا غوبال بابو» وانه هو وافراد اسرته كانوا ينزلون الى الملجأ الموجود في الفندق للاحتماء به مثل بقية النزلاء الآخرين.

ولكي يزيل مدير الفندق من ذهنه الشك الذي اصابه حول الاشعاعات المذكورة اخذ مراقب الوقاية المدنية معه وصعدا الى تلك الغرفة، ثم طرق المدير باب الغرفة المغلقة فاذا بصوت ينطلق من داخلها يسأل عن هوية الطارق. واذ علم مدير الفندق من اللغة التي يتحدث بها من كان في داخل الغرفة وهو المهراجا نفسه، عرفه المدير بنفسه وراح يسأله بلطف عن سبب عدم نزوله الى الملجأ، فاجابه المهراجا، دون ان يفتح باب الغرفة، بانه متعب ولا يستطيع مغادرة الفراش! وعاد مدير الفندق يقول، ان مراقب الدفاع المدني لاحظ ضوءا ينعكس من غرفة نافذتك ياسيدي، ولهذا جئنا نستطلع حقيقة الامر. ولم يجب المهراجا على هذا السؤال فورا، بل انتظر فترة ثم قال «ربما كان ذلك ضوء القمر وهو ينعكس على زجاج النافذة. حسنا انني سوف اغلق النافذة!» واذ سمع المدير والمراقب صوت النافذة والمهراجا يغلقها شكراه على ما فعل ثم انصرفا، وانقطع انبعاث تلك الاشعاعات من النافذة المذكورة.

كان المهراجا قد جاوز الخمسين من عمره لكنه بقي موفور الصحة مكتمل النشاط. وكان قد نزل الفندق منذ اربعة اشهر، ومعه اسرته المكونة من زوجته الفرنسية الاصل والتي اتخذت لها اسما هنديا هو «اكشاي» وبناتها الثلاث «فيهاري»، و «جيان» و «براجا» وكانت الزوجة وبناتها في منتهى الجمال والفتنة والرشاقة. وقد صرح المهراجا بانه يقوم في جولة في انحاء الشرق الاوسط، وانه بعد ان امضى وقتا قصيرا في فلسطين، يريد الان ان يمكث وقتا اطول في مصر.

وما ان ظهرت بنات المهراجا الفاتنات في شرفة الفندق وابهائه، حتى سارع الضباط الانكليز المقيمين فيه، الى مطاردتهن، والتنافس فيما بينهم في التقرب اليهن، على الرغم من ان ذلك التنافس كان يثير الخصومات الشديدة بين الضباط المتنافسين، ويفرق بينهم احيانا. ولم تمض ايام فاذا بالفتيات الثلاث يتطوعن في الجيش البريطاني في مصر ويرتدين البزات العسكرية، التي زادتهن فتنة واغراء واصطياداً لقلوب الضباط الملهوفين.

ولم تلبث الاخت الثالثة «براجا» ان جرفها الحب فاغرمت بضابط شاب

من رتبة نقيب يدعى «روبرت هاتواي» من ضباط ادارة المخابرات البريطانية، كان يقيم في ذات الفندق، فبادلها هذا الحب ثم انتهى المطاف بهما، الى عقد الخطوبة فالزواج والبقاء في الفندق ذاته.

× × ×

اشتدت الضربات على بريطانيا في الشمال الافريقي، وراحت الجحافل الالمانية والايطالية التي يقودها «رومل» في الصحراء الغربية، تتقدم من نصر الى نصر وتروح تهدد مصر ذاتها، وانفتاح الطريق امام المحور الى فلسطين وسوريا والعراق

وفي صباح يوم من احد الايام استيقظ النقيب «روبرت هاتواي» من نومه ليجد ان الغرفة المجاورة لغرفته والتي كان يقيم فيها المهراجا وبقية اسرته قد خلت منهم. وإذ سأل روبرت زوجته عما تعرفه عقدت الدهشة لسانها فلم تحر جوابا، ولذلك هبطت هي وزوجها الى مدير الفندق يسألانه جلية الامر، وكل ما رد به مدير الفندق، ان الاسرة قد غادرت الفندق في فجر هذا اليوم بعد ان سددت حسابها، واستقلت احدى سيارات الاجرة الى مكان لم تعلن عنه.

عاد روبرت وزوجته الى غرفتهما استعداداً للخروج، لكنه ما كاد يفتح صوان ملابسه حتى فوجئ بمفاجأة اخرى ادهى وامر، فاصفر وجهه، وتخاذلت ساقاه وكاد يسقط على الارض.

لقد افتقد حقيبته الصغيرة التي كانت محشوة بالوثائق والتقارير السرية المرسلة من قيادة الشرق الاوسط الى وزارة الحرب البريطانية، والتي اودعها في صوان ملابسه، وكان رؤساؤه قد اختاروه لان يطير بها في مساء هذا اليوم الى لندن وتسليمها الى وزارة الحرب ذاتها.

نبش كل اثاث الغرفة بحثا عن الحقيبة فلم يعثر لها على اثر، واذ ذاك ارتمى من شدة اليأس والفزع على صدر زوجته منتحبا وهو يقول «حبيبتي براجا ان فقدان هذه الحقيبة يعني اعدامي رميا بالرصاص بتهمة الاهمال او الخيانة. واني قررت ان اقتل نفسي بيدي لكى اجنبك هذا العار!

الفصل التاسع عشر

الخرائط المسروقة



وردت براجا تقول«لا. لا ارضى لك ان تفعل ذلك. انا الذي سوف اقتل نفسي بين يديك واكفر بذلك عن ذنبي الذي لا يغتفر!» . لم يع روبرت، لشدة ذهوله، ما قالته زوجته في اول الامر، لكنه سرعان ما افاق من ذهوله ذاك، حين اخذت براجا تسرد له الحقيقة المرة البشعة، وتدلي باعترافاتها الخطيرة امامه.

× × ×

نحن جميعا، انا ووالدي وامي واختاي، جواسيس نعمل لخدمة المحور، ولقد طوفنا ببلدان الشرقين الادنى والاوسط، وكنا نتعرف الى الضباط البريطانيين، ونغريهم بجمالنا وفتنتنا، ونجلس معهم على موائد الخمر والميسر كيما ننتزع منهم الاسرار العسكرية فننقلها الى ابينا الذي كان بدوره يوصلها الى سلطات المحور عن طريق جهاز ارسال الاسلكي دقيق كان يمتلكه.

وحين كانت الطائرات الالمانية تغير على القاهرة، كان والدي يتصل بالطائرات المغيرة من نافذة الغرفة التي يقيم فيها عن طريق اشارات ضوئية بمرآة عاكسة، وحين انكشف سره ذاك اخذ يخرج اثناء الغارة الى سطح الفندق ويختبئ في مكان امين هناك ويبعث باشاراته الضوئية الى الطائرات المغيرة من هناك. ولقد انبأني ابي مساء أمس بانه سيرحل فجر هذا اليوم الى صحراء الفيوم بباقي اسرته، حيث ينتظر هبوط طائرة المانية هناك تقله هو واسرته الى بني غازي، ولقد الح علي كثيرا ان ارافقهم في تلك الرحلة فرفضت لشدة حبي اياك. اما الحقيبة المفقودة فلست اعرف شيئا عنها، ولكنك انت الذي لمحت الى ابي عنها، حين لعبت الخمر في رأسك، ولم يكن من العسير عليه ان يسرقها من صوان ثيابك، وكيف يترك هذا الصيد الثمين يذهب من يديه سدى، وهو يريد ان يقدمه هدية ثمينة الى سلطات المحور في بني غازي؟

على اني اقسم لك بانني لم اشترك مع اهلي في هذه المؤامرة منذ ان احببتك وتزوجتك، لكنني لم اخبرك باعمالهم بسبب عاطفة الابوة والامومة في نفسي.»

ومن دون ان يرد عليها زوجها روبرت بشيئ خرج الى شرفة الغرفة

واخرج مسدسه خلسة من جيبه، وصوبه الى رأسه وعلى حين غرة اختطفت براجا المسدس من يده، وصوبته الى رأسها هي، ثم ضغطت على الزناد فانطلقت الرصاصة مخترقة رأسها فسقطت جثة هامدة على الارض.

وحين افاق روبرت من هول الفاجعة وجد جماعة من الضباط البريطانيين يحيطون به وبجثة القتيلة، فاوثقوا رباطه، واقتادوه الى المقر، حيث جرت محاكمته امام مجلس عرفي بريطاني حكم عليه بالاعدام بتهمة الخيانة العظمى، ونفذ فيه ذلك الحكم بعد ايام قلائل ليلحق بحبيبته «براجا»!

الخرائط المسروقة

كـانت التعليمات التي تلقـاها الـرائد «هـانسون» من رؤسائه في ادارة المخابرات البريطانية، تقضي بان يسافر بقطار بعد الظهر، الى الاسكندرية، شريطة ان يراقب شخصا اعطيت له اوصافه، يستقل ذات القطار، ثم يتبعه عند النزول منه، ويقدم بذلك تقريرا الى ادارة المخابرات في الاسكندرية ذاتها.

وما كاد هانسون يهم بالدخول الى محطة القطار، حتى شاهد ذلك الرجل الذي جاء يطارده، وقد سبقـه الى كشك الصحف في المحـطة، حيث وقف ليطلب بعض المجلات المعروضة للبيع في ذلك الكشك، واذ ذاك كان على هانسون ان يتـراجع الى الـوراء، قليلا، حتى اذا مـا اشترى الـرجل بعض المجلات، تبعه الى الرصيف ومنه الى القطار، فاذا بـالرجـل يدخـل احدى عربات الدرجة الاولى، ويجلس الى جوار النافذة، ويشرع يتفحص احـدى المجلات التي اشتراها.

كانت تجلس الى جوار النافذة الاخرى سيدة اجنبية طاعنة في السن، اسندت ظهرها الى المقعد، وراحت تغط في سبات عميق، قبل ان يتحـرك القطار.

اليها، بعد ان تحقق هانسون من الرقم الذي يحمله، ومن سائقها الاعور
البدين. سارت السيارة مسافة طويلة وتوغلت في اطراف المدينة، ولذلك
لاحظت جيوفانا بانهما قد قطعا مسافة طويلة وفي غير الطريق الذاهب الى
الفندق، وهنا سألته مستفهمة.

- الى اين سنذهب ياسيدي

- سنمر على احد اصدقائي اولا في امر مهم

- حسنا

وصلا اخيرا الى دار صغيرة نائية عن العمران، فطلب هانسون الى
جيوفانا ان تنزل معه ففعلت ذلك، ثم امر سائق السيارة بان ينتظر. دخل
الاثنان الى المنزل فاجتازا الحديقة القائمة فيه حتى وصلا الى الباب الداخلي
حيث كان العقيد تورنتون ينتظرهما فرحب بمقدمهما واقتادهما الى غرفة في
الداخل وبعد ان جلس ثلاثتهم برهة اشار العقيد الى هانسون بان يتبعه، فمال
هانسون على اذن جيوفانا يستأذنها برهة ريثما يتفاهم مع صديقه حول الامر
الذي جاء به الى هنا.

وما كاد هانسون يجتاز الباب حتى التقت به امرأة هائلة الجسم نحته جانبا
عن طريقها، ودخلت الغرفة التي تجلس جيوفانا فيها، واغلقت الباب من
ورائها.

قاد العقيد تورنتون، الرائد هانسون الى غرفة مجاورة ولم يلبثا ان سمعا
صوت جيوفانا تصرخ محتجة وتشتم المرأة البدينة التي اغلقت الباب عند دخولها
اليها. واذ خمد صوت جيوفانا. عادت المرأة البدينة الى العقيد تقول «لم اعثر
معها على اي شيء ولقد قيدتها وكممت فمها كما امرتني بذلك!»

وهنا صرخ العقيد في هانسون يقول «هيا بنا ياهانسون اسرع في السيارة
الى الفندق، وادخل على دمتري في غرفته، وقص عليه ما حدث وهدده بان
جيوفانا سوف تقتل اذا لم يسلمك الخريطة في غضون ساعة من الزمن ولسوف
نراقبك من بعيد ونهرع لنجدتك اذا اقتضى الامر ذلك.

كانت المهمة شاقة وخطيرة ومع ذلك انطلق هانسون بالسيارة الى

.ندق، وصعد الى غرفة دمتري وطرق بابها، ففتح دمتري الباب، وسرعان م
دفعه هانسون بمسدسه الى وسط الغرفة، حيث امره بالجلوس امامه وقص عليه
كل ما حدث، ولكن دمتري لم يظهر اي اكتراث بالامر واجاب ببرود.

- ليس لدي اية خرائط ياسيدي .... وها هي الغرفة امامك تفضل وفتشها كما تريد...

- ولكنني افضل ان تقدم لي الخريطة حرصا على الوقت

- قلت لك ليس عندي اية خرائط!.

- لن يفيدك انكارك وعنادك هذا شيئا ما.

- افعل ما يحلو لك ياسيدي.

لم يجد هانسون امامه من موقف الا ان يفتش الغرفة وكانت تلك مهمة عسيرة لانه كان يصعب عليه في ذات الوقت ان يراقب دمتري وحركاته. وانتهز دمتري فرصة التفتيش، فوثب من مكانه على هانسون وانتزع المسدس من يده ثم قذف به بعيدا في الغرفة، واخرج من صدره خنجرا ذا حدين، ادرك منه هانسون حالا انه نفس الخنجر الذي قتل به حارس الخزانة الحديدية في القيادة العامة بالقاهرة واذ راح هانسون يجاهد دمتري في انتزاع الخنجر منه هتف به دمتري صارخا.

- الخريطة في جيبي وليس يهمني مصير جيوفانا، بقدر ما تهمني الخريطة ذاتها، وانك لن تستطيع مقاومتي طويلا.

طال الصراع بين الرجلين، وظهر التعب على هانسون فلم يستطع انتزاع الخنجر من دمتري، وما لبث ان تهاوى ساقطا على الارض، وحين رفع دمتري خنجره ليهوي به على هانسون، انطلقت رصاصة من باب الغرفة اصابت ذراع دمتري فسقط الخنجر من يده، وارتمى على المقعد الذي كان خلفه وهو يتلوى من شدة الالم.

تطلع هانسون الى الباب فرأى جيوفانا وهي تمسك بالمسدس الذي انطلقت منه الرصاصة التي انقذته، واعقب ذلك دخول العقيد تورنتون

خريطة حربية مهمة لمدينة الاسكندرية توضح كل نقاط دفاعنا وتحصناتنا في المدينة. وكانت هذه الخريطة قد ارسلت من امارة البحر البريطانية في الاسكندرية الى القاهرة لعرضها على القادة الكبار الذين قدموا من لندن لهذه الغاية. لقد سرقت هذه الخارطة من الخزانة الحديدية الكبيرة في القيادة البريطانية، بعد ان قتل حارس القيادة بطعنة في ظهره من خنجر طويل ذي حدين.

ولقد تأكد رجالنا بان السارق هو دمتري ايفانوف وهو من الروس البيض الذين جاؤوا الى مصر، فاشتغل دلالا لبيع الادوية والادوات الطبية، ولكن عملاء النازي استطاعوا ان يضموه الى جانبهم عندما نشبت الحرب، وان يتخذوه لخدمتهم في اعمال التجسس، وان يختاروا معاونة له في ذلك هي «جيوفانا» الايطالية التي تعرف عليها مصادفة في حفلة عامة.

لقد قام الاثنان منذ بداية الحرب باعمال خطيرة لصالح المحور لكنهما كان يفلتان من ايدينا دوما. اما الآن فقد جاءا الى الاسكندرية ليحاولا ارسال تلك الخريطة الى المحور في ليبيا باسرع ما يستطيعان. وعلى هذا ينبغي لنا اذ لا نضيع اية دقيقة في السعي لاسترداد تلك الخريطة قبل ان يتم ارسالها.

ـ وبماذا تشير علي ياسيدي؟

ـ ان الخريطة مع جيوفانا، وانها تخفيها بين حوائجها. ولسوف تجد جيوفانا تنزل ذات الفندق الذي نزل «دمتري» فيه، وفي غرفة ملاصقة لغرفته، كما اعتادت ان تفعل ذلك دوما. وما دمت قد تواعدت معها مساء غد في المقهى التي سوف تقابلها فيها، فان عليك ان تحاول استبقاءها في تلك المقهى اطول مدة مستطاعة، وان لاتتصرف باي شئ قبل ان تتصل بي هاتفيا في الساعة الثامنة وتتلقى تعليماتي. اما نحن فاننا سنكون في ذات الوقت قد استطعنا ان نفتش امتعة «جيوفانا» في غرفتها بالفندق، ونأمل ان نستطيع تفتيش غرفة دمتري هو الآخر اذا ما اسعفنا الحظ وخرج منها، ولو انه لا يغادر غرفته عندما تحدث لديه مثل هذه المهمات الخطيرة!.

ـ وكيف تستطيعون ان تفتشوا غرفة جيوفانا وهي ملاصقة لغرفة دمتري

الذي يكون موجودا في غرفته آنذاك؟
- لن يقوم احد من رجالنا بهذا العمل، وانما سوف تتولاها احدى خادمات الفندق اللواتي يعملن لحسابنا.
- ولكن الا يحتمل ان تسلم جيوفانا الخريطة الى دمتري قبل ان تخرج من غرفتها، او ان تحملها معها؟
- علينا ان نفترض شتى الفرضيات، ونستفيد من كل الاحتمالات ونحن مستعدون لكل النتائج كيفما تكون.

× × ×

في مساء اليوم التالي تقابل هانسون مع جيوفانا في المقهى. كان الجو بديعا والمكان نظيفاً تخيم عليه الشاعرية، ولذلك اندمج الاثنان في سحره وجماله، فراحت جيوفانا تشكو اليه وحدتها ومتاعبها بطريقة مؤثرة جعلته يعطف عليها من اعماق قلبه. واستفاق هانسون من ذهوله وشاعريته، عندما نظر الى ساعته فوجدها قد وافت الثامنة، فاستأذن من جيوفانا وذهب الى الهاتف واتصل بالعقيد «تورنتون» ورد عليه العقيد يقول «اسمع باهانسون! اننا لم نعثر في غرفتها على شيئ، ولا بد ان تكون الخريطة معها كما توقعت ذلك ورد هانسون يقول «وما الذي ستفعله الآن ياسيدي؟.
- اخرج معها من المقهى ولسوف تجد سيارة اجرة واقفة امام المقهى مباشرة وهي تحمل الرقم (١١٢٠٩) ويقودها سائق بدين اعور فاركب انت وهي في هذه السيارة ولسوف يوصلكما سائقها الى المكان الذي سنكون فيه، حيث نستطيع ان نفتشها.
- وماذا عن دمتري؟
- انه ما زال في غرفته لم يغادرها وقد وضع تحت المراقبة الشديدة اسرع ياهانسون .لا تضع دقيقة من الوقت.

عاد هانسون الى جيوفانا فاخبرها بانه مضطر الى الانصراف الآن فقامت معه. وعند خروجهما من المقهى وجدا السيارة المذكورة امام الباب فصعدا

كان الرجل طويل القامة، قوي البنية، شديد الملامح، يرتدي بذلة زرقاء داكنة انيقة، ويضع على رأسه قبعة سوداء، وعلى عينيه نظارة ذهبية ثمينة، ولم يرفع رأسه عن المجلة، حين دخل «هانسون» العربة، فكأنه لم يحس به، ولم يلبث هانسون ان اخرج من جيبه كتابا، وراح يتظاهر بالقراءة فيه.

وعلى حين غرة، وبعد ان اعطيت الاشارة بتحرك القطار، اندفعت الى ذات العربة سيدة شقراء بينة الجمال والاناقة ذات عينين زرقاوين جميلتين وهي لا تتجاوز الثلاثين من عمرها. كانت تردد بعض الشتائم بلغة فرنسية ركيكة دون ان يدرك احد سبب غضبها ذاك. وبعد ان استقرت على المقعد المقابل للرائد هانسون التفتت نحوه وقالت.

- انت لست فرنسيا؟

- لا.... انني انكليزي.

ثم نظرت الى الرجل الآخر وسألته قائلة «وانت ياسيدي؟» فاحنى لها رأسه قليلا واجاب يقول «انا روسي ياسيدتي! - حمدا لله فانا لا احب الفرنسيين!.

وجد هانسون ان الفرصة سانحة لاستطلاع شخصيتها، فقال يخاطبها «ولكنك تتحدثين الفرنسية؟. فردت عليه بقولها «اجل. ولكنني ايطالية. ولهذا السبب حجزوني في محافظة القاهرة ساعات طويلة الى ان اشر على بطاقتي الشخصية ايذانا لي بالعودة الى الاسكندرية، بعد ان انتهت مدة الاذن لي بالاقامة في القاهرة لزيارة بعض اقاربي فيها. ونتيجة لذلك التأخير فاتني قطار الصباح الذي افضل السفر فيه على الدوام. كم هي شديدة قيود الرقابة المفروضة على الرعايا الايطاليين هنا!

وما ان انتهت من قولها ذاك، حتى اسندت رأسها الجميل الى وراء، واغمضت عينيها، فبدت امام هانسون مثالا حيا للحسن التام والفتنة الطاغية. وتبع ذلك ان القى الرجل الروسي هو الآخر، المجلة جانبا، ثم اعتمد مرفقه الايسر واغفى. نظر هانسون الى حقيبة الرجل الموضوعة على الرف فوق رأسه، فرأى بطاقته تتدلى من الحقيبة وقد كتب عليها اسمه وعمله

«ديمتري ايفانوف: العمل صراف»

وما ان توقف القطار في مدينة «دمنهور» حتى أستيقظت السيدة الايطالية، وتابعت ثرثرتها مع هانسون فراحت تسأله اولا عن شخصه، فذكر لها اسما مستعارا، وانبأها بانه يعمل في القنصلية البريطانية بالاسكندرية. اما هي فقد انبأته بدورها بان اسمها «جيوفانا بالمبو»، وانها من اسرة ايطالية كانت قد استوطنت مصر منذ سنوات طويلة، وكانت تقيم في الاسكندرية، وكان ابوها يدير محلا لاصلاح السيارات، ولكنه اعتقل مع امثاله، في اوائل الحرب، من الايطاليين.

شعر هانسون في حديثه مع السيدة بنوع من الارتياح والانسجام، وحين وصل القطر الى محطة «سيدي جابر» في الاسكندرية، نزل معظم المسافرين منه، من بينهم هو والروسي ديمتري ايفانوف .ولولا المهمة التي كلف بها هانسون لمراقبة ذلك الروسي، لما تخلف عن مرافقة الايطالية، لكنه مع ذلك اتفق معها على اللقاء في مساء اليوم التالي في احدى المقاهي المنتشرة على ضفة البحر والتي اعتادت ان تقضي امسياتها فيها.

استقل «ديمتري» سيارة اجرة من رصيف المحطة، فتبعه هانسون في سيارة مماثلة، الى ان بلغ فندق «غارتيه» عند شاطئ الابراهيمية، حيث تقدم الى كاتب الفندق الذي تحدث معه، ثم سجل اسمه في سجل النزلاء، واتجه الى المصعد يتبعه خادم يحمل حقيبته ليرشده الى غرفته التي حجزها.

قصد هانسون ادرة المخابرات البريطانية في الاسكندرية، فقابل العقيد «تورنتون» رئيس مكتب المخابرات، وما ان تحدث اليه هانسون عن تلك السيدة الايطالية الثرثارة، حتى عرفها العقيد تورنتون وهتف قائلا «آه. . . ان هذه المرأة هي الساعد الايمن للروسي دمتري ايفانوف، وهي اكثر حذقا ومهارة منه، وآسف ان اقول لك بان علينا ان نواجه عدوين بدلا من عدو واحد!.

وبعد ان اشعل العقيد سيكارة استأنف حديثه فقال «ان مهمتنا ايها الرائد هانسون شاقة جدا. لقد سرقت من القيادة البريطانية العامة في القاهرة

وبعض رجاله الى الغرفة حيث امسكوا بدمتري وفتشوه ثم اخرجوا الخريطة من جيب في ردائه الداخلي، وخرجوا به من الغرفة. نظر هانسون الى العقيد تورنتون نظرة كلها تساؤل واستفهام، وهنا قال العقيد «انني اعرف ما تريد من وراء هذه النظرة ياهانسون! ان جيوفانا التي تراها هنا، انما تعمل لحسابنا مثلك انت تماما. وانت تعلم جيدا ان تقاليدنا تقضي بان لا يعرف العملاء بعضهم بعضا، وان يكون كل واحد منهم رقيبا على الاخر لضمان النجاح في العمل.

لقد نجحت جيوفانا في خداع دمتري الذي لم يطمئن الى ان يشركها معه في العمل الا في تلك المهمة الوحيدة، وهي سرقة الخريطة. كما ان دمتري في الوقت ذاته قد اطمأن الى تعارفك مع جيوفانا املا في الحصول عن طريقها على بعض الخفايا والاسرار النافعة، وقد اصدر اوامره اليها بشأن ما يجب ان تفعله معك وحين وقعت جيوفانا في الفخ المصطنع الذي اعددناه لها، وانطلى ذلك الفخ حتى عليك نفسك، لم يهتم دمتري بمصيرها قدر اهتمامه بالخريطة وبمصيره هو، على خلاف ما كنا نتوقعه من التضحية بالخريطة لانقاذ حياة جيوفانا.

ولو لم تلح جيوفانا على ان تتبعك الى غرفة دمتري في الفندق، ونراقبك نحن عن بعد، لاستطاع دمتري ان يقضي على حياتك بخنجره ذي الحدين كما قضى به قبلا على حياة حارس الخزانة. والآن بوركتما ياهانسون وياجيوفانا بما قدمتماه من عمل رائع حقا، والآن سوف اترككما وشأنكما لالتحق ببقية الزملاء وامامكما فرصة مدتها خمسة ايام تقضيانها كما ترغبان وموعدنا في يوم الاثنين القادم.

خلال تلك الايام الخمسة كان هانسون وجيوفانا قد حزما امرهما على الزاوج، وفي صباح يوم الاثنين المحدد ذهبا الى مكتب العقيد تورنتون الذي بارك لهما زواجهما، وزودهما بتعلمات جديدة، للانطلاق في مغامرة اخرى.



الفصل العشرون

ماريانا والضابط الطيار

ماريانا والضابط الطيار

كان رئيس مكتب المباحث في الاسكندرية يجلس في مكتبه ذات يوم. وما فتئ ان دق الجرس الموضوع على المكتب فدخل عليه مراسله العسكري وادى التحية. طلب الرئيس الى المراسل بان يدعو له الضابط «عدلي افندي». وبعد دقيقتين كان الملازم الاول «عدلي افندي» يجلس قبالة رئيس المكتب صاغيا، حيث اخذ الرئيس يشرح له تفاصيل مهمته الجديدة التي ينبغي القيام بها. كان ذلك الضابط من انشط ضباط المباحث في الاسكندرية وكان رئيسه يعتمد عليه في المهمات الخطيرة.

بدأ رئيس المكتب حديثه مع الملازم الاول «عدلي افندي» بان قال له «كانت معظم غارات المحور الجوية على الاسكندرية، في الاشهر الثلاثة الاخيرة، غارات محكمة التهديف، اذ كانت تصيب الاهداف اصابات مباشرة. وان مهمتك الآن يا عدلي افندي هي ان تكتشف طريقة اتصال جواسيس المحور بالطائرات المغيرة، وان تهتدي الى الاماكن التي يوجد فيها مثل هؤلاء الجواسيس، وتمهد الطريق لالقاء القبض عليهم.

وتنفيذا لذلك فقد اعددنا هذه الليلة غارة جوية وهمية بطائرات مصرية ستكون انت في واحدة منها، كيما تستطيع ان تكتشف اتصال الجواسيس.

- حاضر ياسيدي

- ان تعليماتي التي ازجيها اليك هي ان تظل في بيتك بعد منتصف الليل فلا تبرحه ابدا، الى ان تصلك سارة تنقلك الى المطار الحربي لتنضم الى ضباط الغارة الجوية الوهمية، وتبدأ عملك معهم. انها مهمة خطيرة لا اعتمد فيها على احد سواك فليوفقك الله.

- اهناك تعليمات اخرى ياسيدي؟

- لا والآن آن لك ان تنصرف الى البيت وتأخذ لك قسطا من الراحة، وتعد نفسك لمغامرة هذه الليلة.

في صباح اليوم التالي توجه الملازم الاول عدلي الى مكتب رئيسه فدخل عليه وشرع يحدثه عن الغارة الوهمية التي جرت ليلة امس ومما قاله له «لقد بدأت الغارة الجوية الوهمية في منتصف الساعة الثالثة من صباح هـذا اليوم. لقـد انطلقنا في خمس طائرات من قاذفات القنابل التي حلقت في سماء الاسكندرية، وقبل ان ننطلق بنصف ساعة، اطلقت صفارات الانذار في المدينة كلها معلنة حلول الغارة، واذ ذاك اصبحت الاسكندرية في ظلام دامس مطلق.

اخذنا ندور في الجو عدة دورات لكننا لم نلاحظ شيئا سوى ذلك الظلام المخيف الذي كان يلف المدينة. واخيرا لمحنا ضوءا خاطفا قويا ينطلق باشارات حسب اشارات البرق تسجل الرسالة التي اراد صاحب الاشارات المنـطلقة ايصالها الينا على اساس اننا كنا من الاعداء. كانت الاشارة تؤلف شفرة سرية لم نستطع ان نحل منها رمزا واحدا، لكن قائد الطائرة الذي صعدت معه استطاع ان يحدد بدقة الموضع الذي كانت الاشارات الضوءية تنطلق منه، على الخارطة الموضوعة امامه في الطائرة لمدينة الاسكندرية.

انتهت الغارة وهبطنا بسلام الى الارض. وما ان هبطت من الطائرة حتى اسرعت بالتوجه في الظلام الى الموقع الذي حدده الطيار، فاذا بي اجد ذلك الموقع عبارة عن عمارة كبيرة تقوم على كورنيش الاسكندرية في منطقة كليوبطرا وما ان اصبح الصباح حتى بادرت بالتحري عن العمارة وسكانها، وركزت اهتمامي في الدرجة الاولى على سكان الطابق الأعلى فيها حيث يستطيع مرسل

تلك الاشارات ان يباشر عمله فيه دون ان يكتشف احد امره قط.

كانت العمارة مؤلفة من اربع شقق تقع اثنتان منها على البحر، وازداد سروري عندما علمت بان احدى هاتين الشقتين تسكنها فتاة ايطالية تدعى «ماريانا» في حين تقيم في الشقة الاخرى اسرة مصرية استاجرتها لقضاء فصل الصيف في الاسكندرية. ونظرا لحوادث الحرب والغارات فقد انقطعت تلك الاسرة المصرية عن الاصطياف، وظلت الشقة مغلقة نتيجة لذلك، وكل ما علمته عن ماريانا هذه انها تعيش وحدها في تلك الشقة، وان طياراً مصريا يتردد عليها.

واذ انتهى الملازم «عدلي» من سرد هذه المعلومات على رئيسه، شكره هذا ووجه اليه التعليمات الجديدة، والتي كانت تقضي بالتحري عن الفتاة الايطالية، والتأكد من انها هي صاحبة الاشارات الضوئية، ومعرفة المصادر التي تعتمد عليها في الحصول على الاخبار والاسرار العسكرية، وعلاقة الضابط المصري الطيار بها، ومدى اشتراكه في اعمالها الاجرامية، واخيرا التوصل الى الشفرة التي تستعملها في ايصال تلك المعلومات. وهنا ترك الرئيس للملازم «عدلي» حرية التصرف واتخاذ ما يراه مناسبا من الاجراءات، وموافاته بما يحصل عليه من نتائج اولا باول.

× × ×

في شتاء سنة ١٩٣٦ هبطت على مدينة «مرسى مطروح» فتاة ايطالية بارعة الجمال، فاستاجرت دارا صغيرة، هيئت بعض الغرف فيها، بمثابة «بنسيون» لايواء بعض من يأوون اليها من رجال الاعمال او الموظفين لمدة قصيرة. ولم يأبه اهل «مرسى مطروح» بالتساؤل عن شخصية هذه الفتاة، والعمل الذي تمارسه، والمورد الذي تعيش منه، لان افتتان الجميع بجمالها وشبابها الصاعق قد صرفهم عن ذلك التساؤل، كما ان الفتاة نفسها لم تتحدث بشيء من هذا الى اي مخلوق تعرفت عليه. فكل ما عرفه اهل «مرسى مطروح»

ان تلك الفتاة تدعى «ماريانا» اما هم انفسهم فقد اطلقوا عليها اسم «الجيوكندا». ويبدو ان هذا الاسم الاخير قد استهواها فتعلقت به وطمست اسمها القديم•اختلطت ماريانا بسكان مرسى مطروح، واسبغت عليهم اطيافاً من البهجة والسحر والفتنة فتعلق الكثيرون منهم بها تعلقا شديدا.

وفي نيسان سنة ١٩٤٠ صدرت الاوامر العسكرية باخلاء مدينة مرسى مطروح من سكانها المدنيين، وتحويلها الى منطقة عسكرية خالصة لا يسمح بدخول اي مدني اليها، الا باجازة من السلطات العسكرية، وعلى هذا الاساس، تركت ماريانا دارها في مرسى مطروح وانتقلت الى الاسكندرية.

× × ×

كان اول عمل من اعمال التحري التي نهض بها الملازم «عدلي» هو الكشف عن علاقة الضابط المصري الطيار بتلك الفتاة. وقد اوصلته تحرياته الى ان يعرف بان ذلك الضابط، ويدعى «علي» كان قد تعرف الى الفتاة قبل ايام قلائل في احد اندية الاسكندرية، وانها شكت اليه سوء وضعها المالي، ورجته ان يبحث لها عن عمل تعيش من ورائه. ولقد افهمته بانها فتاة تركية يتيمة، فاخذته الشفقة عليها، واستطاع ان يلحقها باحد المصانع القائمة في المدينة، وبذلك توطدت الصداقة والمودة بينه وبينها.

واتجه «عدلي» بعد ان الم بالعلاقة القائمة بين «ماريانا» و «علي» الى الكشف عن المصادر التي تعتمد عليها الفتاة في الحصول على الاخبار والاسرار الحربية، فتوصل الى ان ماريانا تتصل بعدد من ضباط الجيش الانكليزي في الاسكندرية وتشاركهم لهوهم وسهراتهم فتنتزع منهم الاخبار المهمة، في حين انها اتخذت من الطيار المصري «علي» مجرد ستار تحجب به عنها تقولات السوء والظن في شخصها وفي حياتها.

وفي احد الايام قصد الملازم «عدلي» المطار العسكري، والتقى مع الضابط الطيار «علي» فانفرد به في ناحية، وافهمه بحقيقة امر صديقته التركية

الحسناء التي يعطف عليها، وطلب اليه ان يساعده في مهمته، وافهمه بالدور الذي ينبغي له ان يضطلع به للكشف عن حقيقة تلك «الجيوكندا»!

في مساء اليوم التالي اصطحب الطيار «علي» معه شابا من ضباط المدفعية المصرية، وتوجه الى زيارة «ماريانا» فقدمه اليها باعتباره احد اصدقائه الحميمين. وسرعان مارأت الجيوكندا في صديق «علي» هذا، شابا ماجنا خليعاً لا يفيق من سكره، فوجدت فيه صيدا ثمينا تستطيع ان تستغله وتسخره لمآربها السرية، ولا سيما بعد ان اطمأن الى صداقتها، واخذ يتردد عليها في بيتها احياناً وبمفرده.

بعد مرور اسبوعين على علاقة ضابط المدفعية الشاب بماريانا، دخل الملازم الاول «عدلي» مكتب رئيس المباحث وهو يمسك الجيوكندا بيده اليمنى، ومفتاح الشفرة التي كانت تستعملها في مراسلاتها باليد اليسرى، واغتبط رئيس المكتب بتلك النتيجة الرائعة اي اغتباط وانعم على «عدلي» بوسام وحصل له على ترفيع مسبق. لقد كان «عدلي» هو الذي مثل دور ضابط المدفعية الذي عرفه الطيار «علي» مع الجيوكندا اول الامر. لقد كان عدلي يجلس ساعات الى ماريانا يسامرها ويناجيها، ويمثل امامها دور الضابط الماجن السكير، ويزودها اثناء ذلك باسرار كاذبة لم تفطن الى حقيقتها في حينه. وحين كانت الطائرات المصرية تقوم بغارات جوية وهمية على الاسكندرية، كانت «ماريانا» تبعث اليها باشارات عن تلك الاسرار حسب الشفرة الخاصة التي كانت تستعملها، وسرعان ما استطاع «عدلي» بذلك ان يعرف مفتاح الشفرة، حتى اذا ما اصبح في يده حمله ومعه «الجيوكندا» الى مكتب المباحث الحربي، وحين اجرى التفتيش على بيت ماريانا عثر فيها على الجهاز الكهربائي الذي كانت تستخدمه لاطلاق تلك الاشارات الضوءية.



ماريا نادا الضابط

الفصل الحادي والعشرون

بقايا امرأة

بقايا امرأة !

في منتصف الساعة العاشرة من مساء اليوم الرابع والعشرين شهر حزيران سنة ١٩٤٣ كانت سيارة صغيرة من سيارات سلاح الطيران الانكليزي تسير باقصى سرعتها في شارع «الزمالك» في القاهرة، يقودها شاب بهي الطلعة، قوي العضلات، تجلس الى جانبه فتاة رائعة الجمال، وكان الاثنان الشاب والفتاة قد ارتديا لباس السهرة. لم يكن ذلك الشاب البهي سوى الضابط «ديفيدرون» من ادارة المخابرات البريطانية. اما الفتاة فهي خطيبته «نورما مكفرسون» سكرتيرة مدير مكتب المخابرات العام. كانا في طريقهما الى حضور حفل ساهر في فندق «اوبرج الاهرام».

بعد صمت طويل بادرت الفتاة تحدث خطيبها «ديفيد ! اتود ان تؤدي لي خدمة ؟

- دون شك.
- انني في مأزق حرج !
- إي مأزق هذا ياعزيزتي نورما؟
- اخي فكتور سكرتير وزير الدولة للشرق الاوسط !
- ماذا به ؟

- لقد سلم اليه الوزير في صباح هذا اليوم رسالة مهمة تخص وزارة الحرب البريطانية لكي يعيد كتابتها بالشيفرة، ثم يعرضها عليه، لكن الرسالة سرقت من فكتور بعد أن اتم كتابتها، الا تود ان تساعده في البحث عن هذه الرسالة واستعادتها؟

- ولكن اين كتب اخوك الرسالة؟ ومتى انتهى من كتابتها؟ ومتى اكتشف ضياعها منه؟

- لقد كتبها في غرفته التي يقيم فيها في منزل «مدام سارة» وكان قد انتهى من كتابتها في منتصف الساعة الثامنة، واكتشف فقدانها في منتصف الساعة التاسعة حين وصل الى ملهى «الاويرج» ومن هناك اتصل بي هاتفياً ليبلغني الامر، ويطلب الي ان التجئ لمساعدته في الخروج من هذا المأزق !

- ولم لم يأت الي مباشرة ؟

- اضطر هناك الى البقاء ليكون في استقبال الوزير، ولا يستطيع مغادرة المكان قبل ان يحضر الوزير الى هناك

- وهل ابلغ اخوك الوزير بما حدث ؟

- كلا ! انه لم يبلغه بعد، وان اجبر على ذلك فلسوف تقع كارثة فانت تعرف ان فكتور ذكي وامين، وينتظره مستقبل باهر اذا ماتجاوز هذا الحادث. اننا نعتمد عليك ياديفيد في ذلك.

- وما هي حكاية هذه السيدة التي يقيم اخوك في منزلها ؟

- انها غانية يوغسلافية تدعى «سارة دوكتيش» مولودة في مصر، لان اهلها استوطنوها من زمان بعيد، وقد احبت الرقص منذ طفولتها حتى اذا ماكبرت اجبرت على العناية بوالدها الشيخ فاحترفت الرقص لانه كان يدر عليها واردا طيباً، وقد تفوقت في هذا الميدان، واصابت شهرة فائقة فيه، وحين قامت الحرب تعاظم كسبها فازدادت ثراءاً. على انها مالبثت، بعد مرور سنتين على قيام الحرب حتى وجدت ان العمل مرهق، وان شبابها قد اخذ بالذبول والتولي، ولذلك صممت على ان تهجر الرقص، وتتزوج، وتستغل مالديها من مال في بعض الاعمال المريحة. وعلى اثر هذا القرار تزوجت من شاب يوغسلافي

ايضا يدعى «تيتو دوكيتش»يدير محلا صغيراً لبيع منتجاتالالبان.
كانت مدام «سارة» هذه تمتلك قطعة من الارض مجاورة للارض التي اقيم عليها معسكر الطيران الحربي البريطاني، بنت فيه منزلا من طابق واحد كانت تقطنه هي وابوها وزوجها. وبحكم مجاورتها للمعسكر استطاعت ان تتعرف الى قائده والى عدد من الضباط فيه. وكان من نتائج هذا التعارف ان ساعدها قائد المعسكر في تحويل دارها الى عمارة شامخة تدر عليها بدل ايجار لايقل عن مائتي جنيه شهريا، وفي هذه العمارة ايضا انشأت ناديا توفرت فيه على خدمة ضباط المعسكر والعناية بهم وبراحتهم فيه، مما جعل الضباط ورواد النادي يغدقون عليها الهدايا والهبات.
وفي الاسبوع الاول لدى وصول اخي فكتور الى القاهرة، تعرف على صاحبة العمارة هذه، فشكا لها من عدم ارتياحه في سكني احد الفنادق، واذ ذاك عرضت عليه بان يقيم في غرفة في مسكنها فقبل شاكرا ذلك العرض، واحس بالراحة في غرفته تلك ولسوف تراها ياديفيد هذه الليلة مع زوجها في الحفلة لانها مدعوة اليها ايضا!»
كان ديفيد وخطيبته قد وصلا الآن الى «الاوبرج» فوجدا «فكتور» ينتظرهما في الردهة الخارجية، وقد شحب لونه، واستبد به القلق والاضطراب. لم يحاول ديفيد ان يضيع ولا دقيقة واحدة من الوقت، فاسرع ينتحي بالشاب فكتور ناحية منعزلة ليعلم امره، ثم سأله «في الوقت بين منتصف الساعة الثامنة ووصولك الى هنا اخبرني من هم الناس الذين رأيتهم؟ وما هي الفرص التي كانت تسمح بسرقة الرسالة؟ ولمن توفرت مثل هذه الفرصة؟
ورد فيكتور يقول «لقد انتهيت من كتابتها في الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والعشرين، ثم وضعتها في داخل مظروف رسمي اغلقته بيدي، ووضعت الرسالة على منضدتي في غرفة الجلوس الملحقة بغرفة النوم، ولم يدخل احد الى هاتين الغرفتين سوى الخادم اللبناني «يوسف» الذي ناديته لقضاء عض الحاجات لي.

ـ ومدام سارة وزوجها ؟

ـ الم يجتازا بك قبل خروجهما ؟

ـ اجل اجتازا بي ، حين كنت منهمكا في كتابة الرسالة وطلبا الي مرافقتهما الى الملهى ولكنني اعتذرت الى ان انتهي من عملي .

ـ وهل سالاك عما كنت تفعله ؟

ـ اجل قلت لهما انني اكتب رسالة مستعجلة

ـ وماذا عن الشيخ العجوز والد سارة ؟

ـ كان نائما في غرفته !

ـ متى اكتشفت السرقة ؟

ـ عندما وصلت الى هنا . فقد اخرجت المظروف لاطمئن على مافيه وحين فتحته لم اجد فيه الرسالة بل قصاصة من جريدة قديمة !

ـ هل كان المظروف في موضعه عندما انتهيت من ارتداء ملابسك ؟

ـ اجل !

ـ هل لديك مظاريف اخرى من ذات النوعية على منضدتك

ـ اجل !

ـ هل تكتب العنوان على هذه المظاريف عندما تكتب رسالة ؟

ـ لااكتب شيئا لان عنوان وزارة الحربية مطبوع على كل هذه المظاريف

ـ لقد تم استبدال الرسالة الاصلية بالمظروف الذي وجدته في جيبك هنا ، اثناء قيامك بارتداء ملابسك ، وان السارق هو الخادم حتما .

ـ لست اعتقد انه رجل مسكين جاءت به سارة من لبنان في الصيف الماضي عطفا عليه والحقته بخدمتها وهو انسان طيب وامين .

ـ وماذا كان موضوع الرسالة ؟

ـ تقرير سري خطير عن الحالة الحربية في البلقان ! .

ـ واين سارة وزوجها الآن ؟

ـ انهما يرقصان في الداخل

ـ ومتى سيصل الوزير ؟

ـ عند منتصف الليل بعد ان ينجز مالديه من اعمال مستعجلة
ـ حسنا دعنا ندخل الآن الى الحفل

مال ديفيد على خطيبته نورما وهمس في اذنها يقول «سوف نرقص انا وانت وعندما نلتقي بسارة وزوجها اضغطي على ذراعي لكي اعرفهما !» .

دخل الثلاثة الى قاعة الرقص الكبرى وغاصوا بين الراقصين وعندما التقى ديفيد ونورما بمدام سارة وزوجها، ضغطت نورما ذراع ديفيد، فانتبه واقدم فجاة على وطء قدم تيتو بحدة، بحيث صاح هذا من شدة الالم، واذ ذاك تقدم اليه ديفيد يعتذر اليه متحدثا باللغة الالمانية، ولكن تيتو رد عليه بذات اللغة في غيظ وغضب، على انه ما ان رأى نورما حتى حياها ثم تقدمت زوجته سارة الى نورما فحيتها وصافحتها هي الاخرى، واذ ذاك قدمت نورما خطيبها ديفيد الى الاثنين وانتهى الموضوع وعاد الجميع الى الرقص والمرح .

لم تفتأ نورما ان همست في اذن ديفيد تقول كيف وطأت قدمه بشدة وانت من ابرع الراقصين ؟ فرد عليها ديفيد يقول «لقد تعمدت ذلك لانني حزرت ان تيتو هذا جاسوس الماني وقد صدق حدسي عندما اجابني بلغة المانية اصيلة .

ظل ديفيد يراقب سارة وزوجها، فرأى هذا الزوج يتخلى عنها الى راقصة اخرى، وانسحب من حلقة الرقص وهنا همس ديفيد في اذن نورما يقول «لقد خرج يوصل الرسالة المسروقة الى حيث يتسلمها احد من زملائه، ولسوف الحق به واطارده الى ان استعيد الرسالة منه واعود بها الى هنا قبل منتصف الليل .

غادر ديفيد الرقص في اثرتيتو الذي كان يركب سيارة صغيرة يقودها بنفسه فتعقبه ديفيد بسيارته هو الآخر حتى وصلا الى منزل «سارة» في مصر الجديدة، حيث اوقف تيتو سيارته ودخل ذلك المنزل . . وهنا التفت ديفيد الى سائقه وقال له «جون امكث هنا وراقب المكان بحذر فاذا لم اعد اليك قبل منتصف الليل توجه الى الاوبرج واخبر مس نورما بما وقع !»

اقبل ديفيد على بواب العمارة وسأله بلغة عربية ركيكة عن الطابق الذي تقيم فيه مدام سارة فاجابه البواب «الطابق الاول في ناحية اليسار، لكن المدام

عير موجوده. انما الخواجة تيتو قد اقبل الآن ولا يوجد احد في الدار سواه.

- وماذا عن الخواجة العجوز ؟

- لقد خرج قبل قليل يتفسح «مع الخادم يوسف !

صعد ديفيد الى شقة مدام سارة فطرق بابها وما كاد يفتح الباب حتى تلقى تيتو بلكمة قوية وشديدة على فكه الايسر القت به على الارض فاقد الوعي، واذ ذاك سحبه ديفيد الى الداخل واغلق الباب من ورائه، وراح يفتش كل زاوية في الشقة بحثا عن الرسالة المسروقة فلم يعثر على اثر لها. وبينما كان ديفيد منهمكا في البحث عاد الشيخ العجوز والخادم ففتح لهما الباب واختفى واذ ذاك شاهد الخادم تيتو ملقى على الارض فحمله واجلسه على احدى الارائك حتى اذا مااستعاد وعيه سأل.

- «اين الرسالة يايوسف ؟»

- انها في جيبي !

- اعطنيها !

واخرج يوسف الرسالة من جيبه وسلمها الى تيتو، وقبل ان يتناولها هذ كانت يد اخرى، هي يد ديفيد قد استلمتها فعاجل الخادم بلكمة قوية اوقعته على الارض هو الآخر. على ان الارتباك اصاب ديفيد عندما اراد الخروج من المسكن، لانه اخطأ الباب، وفتح بابا آخر قاده الى سلم صغير يتصل بنفق مظلم، ماكاد يسير فيه حتى شعر باقدام رجل يطارده، وعلى الفور دوي صوت اطلاقة لم تصبه، وانما اصابت رجلا آخر كان يحمل مصباح اضاءة كهربائي، وكان قادما من الجهة المضادة. وقف ديفيد في مكانه لكي يعرف من كان يطارده فاذا به الخادم يوسف فانهال عليه باللكمات والرفسات حتى اطرحه ارضا. اما الرجل الذي اصيب بالطلق الناري فقد قضى عليه في الحال وتبين بانه من ضباط السلاح الجوي البريطاني.

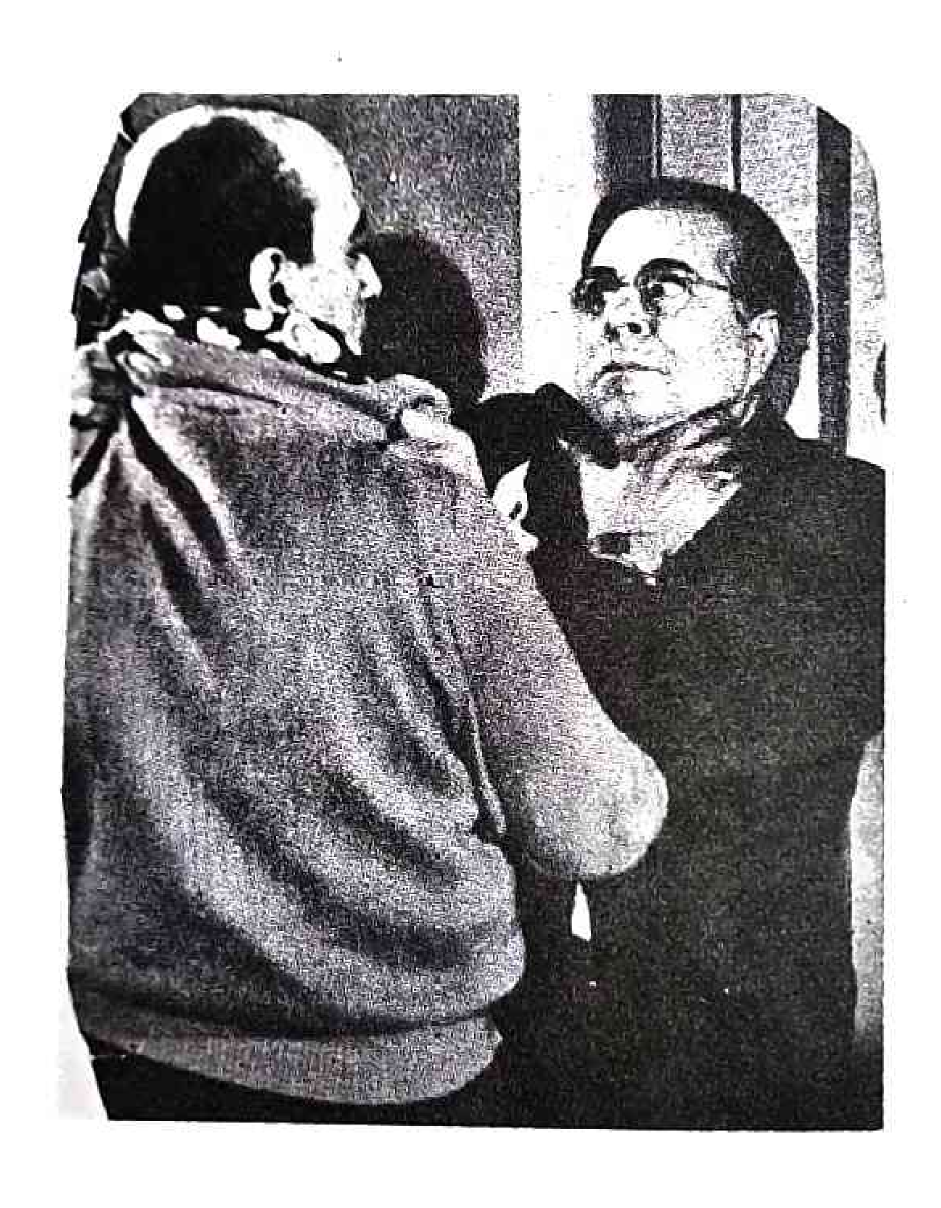
واصل ديفيد سيره داخل النفق حتى خرج الى ارض فضاء تلفت حواليه فوجد نفسه في معسكر الطيران البريطاني واذ ذاك انبأ ضباط المعسكر بما حدث داخل النفق فاسرع هؤلاء بنقل جثة الضابط القتيل الذي اتضح بانه كان قائد

المعسكر.

تم القاء القبض على تيتو وخادمه يوسف وايداعهما في التوقيف واذ نظر ديفيد الى ساعته وجد ان الوقت حوالي منتصف الليل فاستأذن من زملائه وعاد منطلقا الى الاوبرج حيث سلم الرسالة الى «نورما» ثم بحث عن سارة فالقى القبض عليها وعاد بهما الى المعسكر.

لقد تبين من التحقيق ان تيتو دوكتيش الماني اصلي يدعى«فرانز اوبنهايم» في حين كان الخادم «يوسف» المانيا هو الآخر واسمه فرانك سوذرست. كذلك تبين ان هذين الجاسوسين كانا يسلكان نفس النفق لتسقط الاخبار وللحصول على التقارير والرسالات العسكرية. اظهر التحقيق ان سارة وابيها لا علم لهما بمهمة تيتو ويوسف، حيث حوكم الاثنان وحكم عليهما بالاعدام. اما سارة فقد بقيت تعيش في عمارتها تلك حتى هرمت واشتعل رأسها شيبا فكانت ترى جالسة في احدى الشرفات وهي تسرح بصرها الى الافق البعيد وتجتر ذكرى الايام الخوالي.





الفصل الثاني والعشرون

من فتيات فلسطين

من فتيات فلسطين

في ليلة اليوم الرابع عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٣ كانت صالة احد الفنادق الكبرى الشهيرة في القاهرة، تغص بجمع زاخر من الضباط الامريكيين والبريطانيين الذين جاؤوا الى هناك تباعا لحضور احدى حفلات لترفيه التي تقام فيه. وعلى الرغم من ان قاعة الرقص كانت تضم العشرات من الحسان الامريكيات والانكليزيات، الا ان هؤلاء جميعا لم يكن يحملن ذلك الجمال الذي انفردت به فتاتان وفدتا من فلسطين وحلتا في ذلك الفندق منذ ايام.

كان من حظ العقيد هارولد ماندسون من ضباط سلاح الطيران البريطاني ان تعرف على كبرى الفتاتين، وتدعى «دورا» اثناء الرقص، في حين تعرف النقيب «روبرت هكنغ» من ضباط الجيش الثامن الانكليزي على الصغرى المسماه «كيتي»... وراح الضابطان يعملان كل مافي وسعهما بان لاتفلت منهما هاتان الصيدتان طوال السهرة.

ولقد عرف بان الفتاتين شقيقتان من مدينة «نابلس» في فلسطين وهما يتيمتان. كان ابوهما طبيب فلسطيني درس الطب في لندن وتزوج من انكليزية عادت معه الى فلسطين، حتى اذا ما ولدت الفتاتين توفيت فظل ابوهما يرعاهما بعنايته لكنه مالبث ان مات في بداية الحرب العالمية الثانية من دون ان يترك لهما شيئا غير جمالها الفتان.

ضاقت سبل العيش امام اليتيمتين، واضناهما البحث عن عمل تعيشان من ورائه، واخيرا قررتا ان تهبطا ارض مصر، وان تبدأ حياتهما بالعمل في السينما المصرية التي كانت في ذلك العهد تجتذب العديد من الهواة القادمين من مختلف الاقطار العربية. وحين توجهتا الى القاهرة ونزلتا في ذلك الفندق، وراحتا تطرقان ابواب شركات الافلام السينمائية لم تحققا الخيال الذي كان يطغى على تفكيرهما، اذ لم تعط لهما في بعض الافلام التي شاركتا فيهما، سوى ادوار ثانوية تافهة ذات اجور اكثر تفاهة.

وحين تعرفتا في تلك الليلة الساهرة بالضابطين الانكليزيين، وتحدثتا اليهما عن امرهما، اخذت الحمية ذينك الضابطين فاشفقا عليهما وتوسطا لتعيينهما في عمل في مكتب الرقابة العسكري البريطاني في عمل المراسلة والطبع.

عاشت الفتاتان مع الضابطين عيشة هنية لبعض الوقت. وفي احد الايام انذر العقيد هارولد بالسفر الى امريكا للعمل في المركز الاعلى للحرب هناك، فلم يشأ الا ان يعقد زواجه على «دورا» ويأخذها معه الى مقر عمله الجديد. اما كيتي فانها قد صدمت وانهارت عندما اعلمها حبيبها «روبرت» بانه لايستطيع الزواج منها لان له زوجة في الوطن.

في احد الايام تعرفت «كيتي» الى رجل تركي يدعى «نور الدين» هبط الفندق علي حين غرة مع زوجته «نازك خانم». ولقد زعم ذلك الرجل التركي بانه جاء الى مصر للتعاقد مع بعض الشركات السنمائية لعرض افلامها في تركيا، اضافة الى عقد بعض الصفقات التجارية الاخرى. وفيما كان نور الدين

يتحدث عن مشاريعه مع «كيتي» تشجعت فتحدثت اليه عن الوضع البئيس الذي تحياه.

اخذ التركي يولي كيتي من العطف ماجعلها تطمئن اليه وفي احد الليالي قال لها يحدثها.

- اسمعي ياكيتي ! سوف اعرض عليك امرا فيه كل الخير لك ولكن قبل كل شيء اود ان تعاهديني على كتمان السر سواء اتفقنا ام لم نتفق !

- انك تعرف مقدار احترامي اياك فارجو ان لا يخامرك الشك في اي امر.

- انت في حاجة المال لتعودي الى وطنك، او لترحلي الى امريكا وتلحقي باختك هناك.

- لست افهم ماتريده ياسيدي.

- ستكون مهمتك ان تتسلمي رسالة من شخص محدد، ثم تقومين بدورك في تسليمها الى شخص آخر، مرة واحدة في الاسبوع وسيكون اجرك لقاء ذلك مائتي جنيه كل شهر.

- وما تحوى تلك الرسالة ؟

- ذلك امر لايهمك الاطلاع عليه.

واد وجدت الفتاة هذه الفرصة سانحة امامها للتخلص مما يحيط بها من عوز وشقاء بادرت الى قبول العرض واجابت الرجل التركي بكلمة «اتفقنا».

- قبل ان ابسط لك التفاصيل اود ان اقول لك بان هذا العمل لايعرف احد به سوى ثلاثة اشخاص، انا، وزوجتي «نازك» وانت. فاذا ماتعدانا نحن الثلاثة كان معنى ذلك هلاكنا جميعا.

- الآن فهمت !

- حسنا سوف تبدأين عملك من يوم غد.

بدأت كيتي عملها من مساء اليوم التالي، واستمرت تؤديه بنجاح كل اسبوع. وما لبث نور الدين وزوجته ان غادرا الفندق، وسكنا دارا صغيرة في بداية شارع الاهرام. كانت المهمة التي اوكل اليها تنفيذها، هي ان تجلس عند

الساعة السادسة من مساء كل يوم اثنين في احد اركان قاعة التدخين في الفندق، حيث يكون قد سبقها الى الجلوس هناك على مقعد مجاور لمقعدها، رجل كهل احمر الشعر يخفي وجهه بين صفحات احدى المجلات الامريكية ويدخن سيجارا كبيرا.

وبعد ان تجلس في مقعدها ذاك برهة من الوقت يضع الرجل المجلة على طاولة بين مقعده ومقعدها، ثم يطفئ سيجاره ويغادر القاعة،وبعد ان يخرج تمد كيتي يدها الى المجلة وتروح تتظاهر بانها تتصفحها، تغادر المكان بعد بضع دقائق وتأخذ المجلة الى غرفتها حيث تخلو الى نفسها فتخرج من بين طياتها مظروفا مغلقا ازرق اللون صغير الحجم تسارع الى اخفاء الظرف في مكان امين في غرفتها.

فاذا ماحل صباح اليوم التالي نهضت كيتي مبكرة فحملت المظروف بين طيات ملابسها واتجهت الى محطة القطار تقطع تذكرة تركب بها القطار الاول الذي يسافر الى الاسكندرية. حتى اذا ماوصل القطار الى محطة «سيدي جابر» صعد الى القطار شاب اصلع الرأس يضع في عنقه وردة حمراء واذ ذاك تتبعه في ممر العربة الى ان تسنح الفرصة فتدس المظروف في يده ثم تعود الى مقعدها لتهبط في محطة الاسكندرية ثم تعود في اول قطار عائد الى القاهرة.

من التعليمات الى وجهها نور الدين الى كيتي «ان عليها ان تكون حذرة اذا لم تر الرجل ذا الشعر الاحمر لايدخن سيجارا، او ان الشاب الاصلع لايضع في رقبته «وردة» حمراء» وانها في مثل هذه الحالة ينبغي لها ان تسرع في الدخول الى دورة المياه في القطار لتتلف المظروف الذي تحمله.

واصلت كيتي مهمتها تلك وربحت منها ثروة لابأس بها. ولم يشك روبرت في امرها، اذ كانت تأخذه معها في بعض الاحيان لزيارة نور الدين وزوجته في دارهما. واخيرا قررت «كيتي» ان تسافر الى فلسطين، بعد تسليم الرسالة المجهولة لاخر مرة، ووافق نور الدين على سفرها، وتقرر سفرها يوم الاربعاء القادم، وتسلمت الجواز وبطاقة السفر بالطائرة.

لم تكن قد اخبرت صديقها «روبرت» بامر سفرها، وقررت ان تفاجأه بذلك مساء يوم الثلاثاء، وفي مساء يوم الاثنين المعتاد تسلمت الرسالة من الرجل ذي الشعر الاحمر وتوجهت صباح الثلاثاء بالقطار الى الاسكندرية. وحين وصلت الى محطة «سيدي جابر» لم يصعد الشاب الاصلع الى القطار ابدا وخلال سير القطار الى محطة الاسكندرية دخلت كيتي دورة المياه في العربة فاتلفت الرسالة، حتى اذا ماوصلت الأسكندرية عادت باول قطار عائد الى القاهرة واخذت تعد في الفندق حقائبها استعداداً للسفر الى فلسطين.

واذ كانت منشغلة بذلك دخلت عليها زوجة نور الدين لتعلمها بان زوجها قد خرج منذ الصباح ولم يعد في الوقت الذي اعتاد فيه العودة قبل الظهر، وانها تشعر بالقلق عليه. وتحدثت كيتي الى نازك ايضا بانها لم تصادف الشاب الاصلع في القطار فازداد اضطراب نازك اكثر من ذي قبل.

في هذا الاثناء قدم روبرت الى غرفة كيتي فقررت ان تعلمه بامر سفرها، فتجلد وراح يتمنى لها السعادة والتوفيق.

استأذنت نازك في العودة الى دارها فتطوع روبرت في ايصالها اليه والعودة الى كيتي في غرفتها لكن روبرت لم يعد طيلة الليلة وقد خيل الى كيتي بانه فضل ان يهرب من مواجهتها بعد ان تألم لعزمها على السفر. وهكذا حدث وسافرت كيتي الى فلسطين ومنها غادرت الى امريكا لتعيش فيها.

لقد ظهر بان نور الدين وزوجته «نازك خانم» كانا المانيين وليسا تركيين، وكانا يديران عصابة من الجواسيس الالمان. وان كيتي عندما كانت تسافر كل اسبوع الى الاسكندرية كانت تحمل في ذلك المظروف الازرق معلومات عن اسرار حربية خطيرة، وان رجال المخابرات البريطانية قد علموا بامر هذه العصابة وترصدوا لافرادها حتى وقعوا في الفخ قبل ان تغادر كيتي الى فلسطين بيوم واحد. فقد تم القاء القبض على نور الدين والرجل ذي الشعر الاحمر، والشاب الاصلع. وعندما عاد روبرت بزوجة نور الدين الى دارها قبض عليهما رجال المخابرات البريطانية وانتهى الامر باعدم كل افراد العصابة بما فيهم النقيب «روبرت» الذي انكر اية علاقة له مع كيتي، فسلم عنقها بذلك من المشنقة!

الفصل الثالث والعشرون



جزيرة الذهب

من بين العوامات الشهيرة التي انتشرت قبل الحرب العالمية الثانية، على ضفاف نهر النيل قبالة احياء «الزمالك» و «العجوزة» في القاهرة، عوامة عرفت باسم «جزيرة الذهب»، وكانت ترسو قبالة مستشفى «الجمعية الخيرية الاسلامية» في حي العجوزة، وكانت هذه العوامة تعتبر تحفة من حيث البناء والاثاث بالنسبة الى العوامات الاخرى. وكانت هذه العوامة قد اقامها احد الاثرياء الكبار في القاهرة لقضاء فترة النقاهة بعد ان يتناول علاجه في مستشفى الجمعية الخيرية الاسلامية وقد اعتنى عناية مميزة بزخرفتها وهندستها فطلى كل اطرافها بلون الذهب. على ان المرض العضال الذين اصيب به لم يمهله طويلا لكي يستمتع بالسكن في عوامته تلك، اذ اغتاله ذلك المرض في ١٩٤٠.

بقيت العوامة مغلقة بعد وفاة صاحبها حوالي اربعة اشهر. وعلى حين غرة فتحت ابواب العوامة، ودبت الحركة والنشاط فيها، وكان الشخص الذي

سكنها شابا في عنفوان شبابه، راح جيرانه يتطلعون بفضول الى استقصاء اخباره، ومراقبة حركاته وسكناته، فلم يعرفوا عنه، اكثر من انه كان يخرج بسيارته الخاصة في باكر الصباح ثم يعود عند الظهر، ويخرج مرة اخرى قبيل الغروب فلا يزيد غيابه اكثر من ساعة يعود بعدها الى العوامة فيمكث فيها طيلة الليل لا يغادرها الا في صباح اليوم التالي.

كان يعيش لوحده، وتعنى باموره سيدة كبيرة السن اجنبية. وعبثا حاول الجيران استدراج تلك السيدة للتحدث عن ذلك الشاب، ولكن العجوز كانت تتحاشى الناس والالتقاء معهم، والخوض معهم في الحديث في اي شأن من الشؤون.

ومما لاحظه الجيران ايضا، ان سيدة شابة كانت تزور العجوز مصطحبة طفلها الصغير، فتمكث معها تتحدث بصوت غير مسموع في حين يكون الطفل يلهو باللعب في الحديقة الصغيرة الملحقة بالعوامة. ومن اللغة التي كانت السيدة الشابة التي تكلم بها طفلها، عرفوا انها، تتحدث باليونانية، ولذلك خيل اليهم ان تلك السيدة الشابة هي ابنة تلك العجوز الاجنبية.

كذلك لاحظ الجيران ان الشاب عندما يعود الى العوامة يوجه عبارات التحية الى السيدة الشابة، ويداعب طفلها لكنه كان يتحدث معها باللغة العربية، وباللهجة المصرية الشعبية الدارجة في منطقة الصعيد. دفع الفضول الجيران الى محاولة التعرف الى السيدة الشابة فعرفوا منها ان الشاب صاحب العوامة، مصري يدعى «عزت بك»، وانه قد ورث ثروة طائلة عن ابيه وانه قد جاء الى القاهرة ليستفيد من الظروف التي هيأتها الحرب كالدخول في عقد تعهدات مع السلطات العسكرية البريطانية وما شاكل ذلك.

ونظرا لهذه الامور ولاضطراره الى السكن في القاهرة دوما فقد اشترى تلك العوامة من ورثة ذلك الثري المتوفى. كذلك علم الجيران ان تلك الشابة هي ابنة العجور اليونانية التي كانت تشرف على ادارة العوامة «جزيرة الذهب».

على انه لم يمض وقت طويل حتى حل في العوامة مستأجر او ساكن

جديد، مع الشاب السابق. وكان هذا الساكن الجديد في مقتبل العمر هـو الآخر جميل الوجه والشعر، وكان يتحدث بلهجة صعيدية معقدة، ويخرج مع الشاب الاول ويعود معه. وعلم الجيران بان الساكن الجديد يدعى، «فوزي بك» صعيدي وصديق الشاب الاول وقد جاء يعاونه في اعماله التجارية في القاهرة. على ان الشيئ الذي لاحظه الجيران باستغراب، هو ان ساكني العوامة كانا يقيمان في مساء كل يوم احد، حفلا ساهراً في العوامة يحضره عدد غفير من ضباط الجيش البريطاني في الدرجة الاولى.

ونـظرا لما كـانت تتميز بـه تلك الحفلات السـاهرة من مجـون وتهتك واستهتار، فقد تعاظم ضيقهم وضجرهم من ذلك الوضع فشكوا الى «عزت بك» ما كانوا يحسون به، ولكنه جابههم بانه مضطر الى ذلك مجاملة للضباط الذين ارتبط بهم بحكم عمله التجاري. وهكذا حدث وانقضت سنتان على ذلك الوضع.

كان يسكن في العوامـة المجاورة للعـوامة «جـزيرة الـذهب» مهندس مصري يعمل في اللاسلكي لدى احدى الشركات الامريكية، وكان شغوفا باجراء التجارب على اعمال اللاسلكي، ولقد دفعه شغفه هذا الى اقامة محطة تجارب لاسلكية في العوامة التي يسكن فيها. ولاحظ في احدى الليالي، عندما كان يجري تجاربه تلك وجود محطة ارسال لاسلكية على مقربة منه، واستطاع ان يحدد مكان تلك المحطة في «جزيرة الذهب» ذاتها، وان يلتقط الاشارات التي ترسلها، فاذا بها تجري حسب «شفرة» خاصة، ولم يشأ الا ان يعلم ادارة الامن المصرية بما اكتشفه حيث اتخذت الاجراءات اللازمة لمراقبة جـزيرة الـذهب والكشف عن اسرار الاشارات التي تبثها.

كمن رجال الامن في عوامة المهندس، واستمعوا بانفسهم الى الاشارات التي كانت تنطلق من جزيرة الذهب، وبعد ان استمرت هذه المراقبة مدة خمسة ايام، قرر رجال الامن مداهمة العوامة جزيرة الذهب في الليلة الخامسة من ليالي المراقبة، وسرعان ما اقتحموا العوامة فاستقبلتهم الخادمة العجوز اليـونانيـة

وقادتهم بهدوء الى المكان الذي يختفي فيه الشابان الصعيديان ويعملان حيث تم القاء القبض عليهما امام محطة الارسال اللاسلكي في قاع العوامة.

وحين حاول ضابط الامن تفتيش العوامة وقفت العجوز اليونانية في وجههم ومنعتهم من التحرك، واذ ذاك خلعت الشعر المستعار الذي كانت تتزيا به، فاذا الواقف امامهم ليس عجوزاً، بل هو زميلهم المقدم «وهبي»، حيث ظهر ان المباحث المصرية كانت قد بدأت العمل بمراقبة العوامة «جزيرة الذهب» واكتشاف امر الشابين الصعيديين فيها، قبل ان يعمد المهندس في العوامة المجاورة الى اخبار المباحث بامر الاشارات التي التقطها.

صعد المقدم وهبي مع زملائه الى سطح العوامة، ثم عاد بهم الى البهو ومن هناك ارشدهم الى مخبأ سري كان الشابان يضعان فيه كل ما لديهما من اوراق سرية، وكانت جميع تلك الاوراق مكتوبة باللغة الالمانية، كذلك ارشدهم المقدم وهبي، الى مخبأ سري آخر تحت ارضية الغرفة التي ينام فيها «عزت بك» فعثروا فيه على خمسة الاف ورقة من فئة عشرة جنيهات مصرية.

بدأ التحقيق مع الشابين الصعيديين اللذين القي القبض عليهما، فاظهر ان «عزت بك» نجل طبيب مصري درس في المانيا وتزوج فتاة المانية هي والدة عزت بك. اما الشاب الثاني الذي كان يدعى «فوزي بك» فهو من رجال المخابرات الالمانية يدعى «هرست كرامب»، قدم الى مصر منذ سنة ١٩٣٨ وظل مقيما فيها الى ان نشبت الحرب العالمية الثانية حتى اذا ما تعرف الى «عزت بك» اتفقا على العمل للتجسس لحساب المانيا فاقاما معا في عوامة «جزيرة الذهب» وانشأ محطة ارسال لاسلكي فيها. ثم شرع الاثنان يحصلان على تعهدات باعمال من لدن السلطات العسكرية البريطانية ويقيمان تلك الحفلات الصاخبة في العوامة للخصول من ورائها على اسرار مفيدة لالمانيا وارسالها الى برلين عبر المحطة اللاسلكية التي صنعاها.

لاحظت ادارة الامن المصري سلوك «عزت بك» فارتابت فيه، وعهدت الى المقدم «وهبي» الذي تنكر في شكل عجوز يونانية، بان يحاول اكتشاف سر

هذا الشاب الثري. اما السيدة الصغيرة التي كانت سردد على العجوز في العوامة فهي من مجندات دائرة الامن المصرية، وكانت تقوم بالعمل بين المقدم وهبي ودائرة الامن تنقل منه كل ما يتوفر لديه من معلومات وتنقل اليه بالمقابل كل ما تصدره مديرية الامن من تعليمات.

كذلك اظهر التحقيق ان النقود التي تم العثور عليها في مخبأ السيد «عزت بك» كانت نقودا مصرية مزيفة تم تزييفها باتقان في برلين. كان مما صرح به عزت بك اثناء التحقيق ان القاء القبض عليه وعلى زميله الالماني هرست كرامب سوف يدفع المانيا الى ارسال غارة شعواء على القاهرة انتقاما لهما. غير ان رجال التحقيق لم يأبهوا بهذا القول. وفعلا ما ان حل المساء حتى وقعت غارة عشوائية المانية على القاهرة اوقعت المزيد من الخسائر في الارواح والاموال فكانت تلك اول غارة المانية على القاهرة، وبداية لسلسلة اخرى من الغارات التي وقعت فيما بعد.





الفصل الرابع والعشرون

في مضيف الشيخ سلمان



في مضيف الشيخ سلمان!

الشيخ سلمان واحد من شيوخ العشائر الرحل في ليبيا. وعندما بدأت حرب الصحراء بين الانكليز والالمان وحلفائهم الايطاليين في اوائـل الحرب العالمية الثانية، كان الشيخ سلمان يضرب خيامه هو وافراد عشيرته على الحدود بين مصر وليبيا، لكنه خشي من بطش الايطاليين به فآثر الهرب من الاراضي الليبية ودخل الاراضي المصرية فلم تتعرض له الجيوش الانكليزية بشيء، بل على العكس من ذلك رحبت به وسمحت له بالاقامة هناك، واخذت تستفيد من خبرته في الالمام بالطرق والمسالك في صحراء ليبيا اثناء هجماتها على القوات الايطالية.

ولقد اعتاد الشيخ سلمان ان يقيم في بداية كل شهر حفلة عشاء وطرب في مضيفه ينحر فيها الخراف تكريما للضيوف الحاضرين ويشرع يشويها امامهم بالنار الموقدة، ويقدم لحومها الناضجة الى الضيوف الذين ينهالون على تناولها بشهية، ومن ثم تدار عليهم اقداح الشاي، وتتبع ذلك سهـرة ممتعة تشنف الاذان فيها بالغناء العربي الشجي، وكان مضرب خيام الشيخ سلمان يقع في «مدالينا» على الحدود بين مصر وليبيا.

كان اثنان ممن حضروا مأدبة الشيخ سلمان الشهرية هذه، يتحدثان باعجاب عن تلك المأدبة. كان احدهما ضابط مصري برتبة «نقيب» والاخر بريطاني برتبة «رائد». قال الرائد الانكليزي متحدثاً عن المأدبة «لقد كانت السهرة ممتعة ايها النقيب «رشاد»!

فرد النقيب رشاد يقول «انها حقا ممتعة ايها الرائد جونس!» وعاد الرائد الانكليزي يسأل «ولكن من تكون تلك الفتاة العربية الحسناء التي استمعنا الى غنائها الشجي في مضيف الشيخ سلمان؟

- اتقصد «بسمة»؟. انها فتاة يتيمة، فقدت ابويها الايطاليين ولما تزل في المهد بعد، فتكفلها الشيخ سلمان وتبناها لانه لم ينجب له، وهكذا نشأت «بسمة» في مضارب الشيخ سلمان وكانت تعتبره اباها، لانها لا تعرف اصلها وكانت تعتقد انها فقدت امها اثناء الولادة بها!

- لقد أسحرنا صوتها، وكان جمالها اكثر سحراً، لقد حملتنا بالامس الى ليلة من ليالي الف ليلة وليلة التي تعيش في ذاكرة كل عربي.

- ترى هل فتنتك بسمة الى مثل هذه الدرجة يارائد جونس؟.

- انني رجل خيال واحساس ايها النقيب. لقد كنت امارس الرسم قبل ان التحق بالجيش، وما زالت روحي الفنية تطغى على مشاعري واحساساتي.

- لك الحق في ذلك. فالفتاة هي الشئ الجميل الوحيد المتوفر في هذه الصحراء القاسية الموحشة!

كان النقيب «رشاد» يشرف على احدى نقاط الحدود المصرية في «بير شجة» بين «السلوم» وواحة «سيوة» قبالة «مدلينا» حيث يضرب الشيخ سلمان خيامه.

ولقد كان الرائد جونس يتولى مهمة ضابط اتصال بين الجيشين المصري والانكليزي في تلك المنطقة. وما ان حل الظلام حتى نهض الرائد مستأذنا بالانصراف حيث عاد الى المعسكر البريطاني.

ما ان عاد الرائد جونس حتى توجه الى بار المعسكر، فاذا به يفاجأ بوجود

كثرية الضباط هناك ومعهم الشيخ سلمان والفتاة «بسمة». وكان الشيخ سلمان والفتاة يردان على انخاب الضباط باقداح الوسكي والبيرة، بفناجين الشاي. اقترب جونس من الشيخ سلمان وبسمة فادهشه اذ وجدهما يتكلمان الانكليزية بطلاقة، ولم يلبث جونس الا ان يسأل الشيخ عن هذا الامر فاجابه الشيخ «سلمان» وهو يبتسم قائلا «عندما كنت اقطن ليبيا هبطت خيامي بعثة استكشاف بريطانية امضت فيها ثلاث سنوات، فكانت هذه المدة كافية لان نتعلم، انا وابنتي، لغة القوم. واكثر من هذا تعلمنا الرقص العصري ونقلنا عنهم الكثير من مظاهر الحياة العصرية. انا رجل عصري يارائد جونس!

نهضت بسمة من مقعدها فتوسطت الجمع الصاخب المعربد وشرعت تشدو باهازيجها العربية الحلوة، فتوقف الضباط عن الصخب والعربدة، واشرأبوا باعناقهم نحوها وهم ينصتون لشدوها. واستبدت الروح الفنية بالرائد جونس فترك فناجين الشاي واقبل على «البراندي» يعب منه الكأس تلو الكأس، حتى اذا ما انتهت الفتاة من الغناء كان قد اتى على آخر قطرة من القنينة ذاتها. ثم بدأ الرقص وكان جونس اول من امسك بالفتاة بسمة وشرع يرقص معها.

كان كثير من الضباط والجنود الايطاليين، في ذلك الوقت، يمارسون عملية الهرب من الاراضي الليبية واللجوء الى الاراضي المصرية طلبا للامن وتخلصا من اوضاع الحرب. وقد اتصلت ادارة المخابرات العسكرية البريطانية بالشيخ «سلمان» وطلبت اليه ان يساعدها في القبض علي اي من الهاربين من داخل ليبيا فوعدها خيرا. وفي مساء احد الايام رأى بعض الضباط الانكليز الذين كانوا في خيمة الشيخ «سلمان» رجلا عربيا في مقتبل العمر بهي الطلعة، انيق الملبس، ما فتئ الشيخ سلمان ان قدمه الى ضيوفه الانكليز، باسم «الشيخ علوان» من عشيرة «المجابرة» من سينا، وانه ابن عمه وسيمكث في ضيافته بضعة اسابيع.

وعندما حل الشهر الجديد، حل موعد الحفل الشهري الذي اعتاد

الشيخ سلمان ان يقيمه لضيوفه وزواره، وفي هذا الحفل ابدى الشيخ علوان من مظاهر الفتوة والفروسية ما اثار اعجاب الحاضرين، وعلى الاخص الضباط الانكليز منهم، الذين الهب حماسهم، ما عدا واحد هو الرائد «جونس» الذي راعه تقرب الشيخ علوان من الفتاة «بسمة» وميلها الشديد نحوه.

انقضت ايام وليالي كان جونس خلالها يرصد حركات الشيخ علوان وبسمة الى ان فاجأهما ذات ليلة في خلوة غرامية تحت ضوء القمر عند جذع احدى نخيل الصحراء، وهكذا سيطرت عليه الغيرة فافقدته رشده فاندفع، وامسك بخناق غريمه الشيخ علوان واشتبكا معا في معركة كادت تودي بحياة واحد من الرجلين لو لم تحسم بسمة الموضوع بالهدوء واللطف.

تجددت المعارك بعد ذلك عدة مرات بين الشيخ علوان، والرائد جونس مما ادى الى ان تتدخل القيادة العسكرية البريطانية في الامر، وتأمر بنقل الرائد جونس من تلك المنطقة. غير ان جونس ما لبث، قبل ان يصل امر نقله من القيادة، ان اختفى على حين غرة مدة ثلاثة ايام.

وجهت التهمة الى الشيخ علوان بانه هو الذي دبر امر اختفاء الرائد جونس بسبب المنافسة بينهما على حب «بسمة»، وامر القائد البريطاني باعتقال الشيخ علوان، رغم احتجاجات الشيخ سلمان ضد هذه الاهانة التي توجه اليه وضد ابن عمه الضيف، وهدد بان يبرق برقية احتجاج على ذلك لدى القائد البريطاني العام في القاهرة. ورغم ما بذله القائد المحلي الانكليزي في الموقع من جهد مع الشيخ علوان فانه لم يستطع ان ينتزع منه اي اعتراف كان. وكم كانت دهشة قائد المجلس البريطاني عظيمة، عندما وصلته تعليمات في المساء من القيادة البريطانية العامة في القاهرة تطلب اليه ان يطلق سراح الشيخ علوان، وان يعتذر الى الشيخ سلمان عما بدر عنه، وفعلا اطلق القائد سراح الشيخ علوان واخذه معه الى مضرب الشيخ سلمان فسلمه اليه وكرر اسفه واعتذاره لما وقع. اما ما حدث للرائد جونس فانه قد هام على وجهه في الصحراء الى ان عثرت عليه احدى طلائع الاستطلاعات فنقلته الى احد المستشفيات العسكرية بعد ان كاد يهلك من الجوع والظمأ.

اقام الشيخ سلمان، بمناسبة اطلاق سراح ابن عمه الشيخ علوان، حفلة ساهرة رائعة حضرها العشرات من الضباط البريطانيين وافراد عشيرة الشيخ سلمان. وحين اشتد الصخب واللهو وقف الشيخ علوان في وسطهم وشهر مسدسه وهددهم بالقتل ان بدت منهم اية حركة مقاومة، ثم وجه كلامه الى الضباط الانكليز ان يعاونوه في القاء القبض على جميع حاضرين من الاعراب، وعلى رأسهم الشيخ سلمان وابنته بسمة.

افصح الشيخ «علوان» عن هويته الحقيقية فاذا بـه العقيد «عـلي» من ضباط الاستخبارات المصرية الذي استطاع ان يكشف سـر الشيخ سلمـان ومهمته الحقيقية. لقد ظهر بان الشيخ سلمان كان يعمل لمصلحة الايطاليين، وانه هو الذي كان يؤوي جميع الايطاليين الهاربين من ليبيا ويبعث بهم متسللين الى داخل الاراضي المصرية. لقد استـطاع العقيد «عـلي» ان يخدع الشيـخ سلمان، حينما افضى اليه بانه من عملاء ايطاليا وانه قد قدم من روما مباشرة لكي يعاونه في مهمته.

كما استطاع العقيد «علي» بالتقرب من بسمة ان يخدعها هي الاخرى بانه جاسوس ايطالي انزل من الطائرة بالمظلة على مقربة من مضرب ابيها، واطلعها على اوراق تثبت حقيقة شخصيته ومهمته. واستطاع بذلك ان ينتزع منها كل ما لديها من معلومات عن النشاط الذي تقوم به هي وابوها الشيخ سلمان وكيفية ايواء الضباط الايطاليين الهاربين عبر الحدود وتزويدهم بالمعلومات المـطلوبة لعملهم داخل الاراضي المصرية. ولقد اظهر التحقيق ان «بسمة» تلك كانت من اشهر وامهر الجاسوسات الايطاليات في الحرب العالمية الثانية. ما ان افصح العقيد علي عن هذه الاسرار حتى تقدم اليه القائد المجلس البريطاني وسأله قائلا: ـ

ـ واين الشيخ والفتاة؟

ـ تعال معي. سار القائد مع العقيد علي الى خيمة الشيخ سلمان فوجده مطاطئ الرأس، والقيد الحديدي في يده، بـين رجال الاستخبـارات، وبين

قدميه جهـاز الارسال الـلاسلكي الذي كـان يستخدمـه في نقل المعلومـات والاسرار الى الايطاليين الموجـودين في «بني غازي» والى جـانبه تقف الفتـاة الجميلة «بسمة» التي راحت تصعد نظراتها في العقيد «علي» من رأسه الى اخمص قدميه. وفي صباح الوم التالي اختفت مضارب الشيخ سلمان، ولم يعد لها من وجود، وانطوت صفحة السهرات الممتعة التي كانت تقام فيها في بداية كـل شهر.



الفصل الخامس والعشرون

في مصيدة واحدة

اربعة في مصيدة واحدة!

تركزت غارات المحور الجوية خلال سنة ١٩٤٢ على ميناء الاسكندرية من بين الموانئ الاخرى التي لم تنج من الغارات. وقد لوحظ ان طائرات المحور المغيرة كانت تهاجم مواقع المدافع المضادة للطائرات رغم السرية التي احيطت بها تلك المواقع. ولما كان ضرب هذه المواقع يجري بصفة دقيقة كما لاحظ المراقبون من رجال الجيش الانكليزي في مصر، فقد تأكد هؤلاء المراقبون بان الخرائط التفصيلية لتلك المواقع لابد وان تكون قد وقعت بايدي قوات المحور. كان الجيشان المصري والانكليزي يشتركان معاً في احتلال تلك المواقع، ويبدلان مواضعهما بعد كل غارة يظهر من ورائها ان العدو قد اكتشف المواضع الجديدة، وهذا يعني ان هناك جواسيس لدول المحور يعملون على الحصول على خرائط مواضع المدافع حال وضعها.

اتفقت ادارة الامن المصرية مع الاستخبارات البريطانية على العمل سوية لكشف كيفية تسلل الخرائط السرية الخاصة بمواقع المدافع المضادة للطائرات الى ايدي جواسيس المحور. كان يجري صنع ثلاث نسخ من تلك الخرائط

بالاتفاق بين القيادتين المصرية والانكليزية، وذلك بان تحفظ واحدة منها في مكتب رئاسة اركان الجيش المصري، والثانية في مكتب القيادة البريطانية، والثالثة في مكتب امارة البحر البريطانية. وكانت كل واحدة من هذه الخرائط يجري حفظها في خزانة حديدية وبمهارة ضابط من رتبة عقيد طيلة النهار.وفضلا عن ذلك كانت توضع على هذه الخزانات الحديدية رقابة مشددة وحراسة قوية طيلة الليل، مما يجعل احتمال سرقة الخرائط منها، من الامور المستحيلة. وعلى هذا فان الافتراض المقبول لوصول هذه الخرائط الى ايدي المحور. هو احتمال خيانة احد الضباط الثلاثة الذين يعهد اليهم امر حفظ تلك الخرائط. وعلى هذا الافتراض وضع الضباط الثلاثة تحت الرقابة السرية الشديدة، وازدادت دقة وتصميما بعد ان وضعت خريطة جديدة لمواقع المدافع المضادة للطائرات.

وفي اليوم الذي تسلم فيه الضباط الثلاثة الخرائط الجديدة لايداع كل واحدة منها في الخزانة المخصصة لها، انتظر ضباط الاستخبارات، خروج اولئك الضباط من مكاتبهم، فقاموا بعد خروجهم بفتح الخزانات الثلاثة بمفاتيح مصطنعة، حيث وجدوا الخريطتين اللتين اودعتا الى مكتب رئاسة الاركان المصرية، ومكتب البحرية البريطانية في مكانيهما المعهودين، في حين كانت الخريطة المودعة في خزانة القيادة البريطانية مفقودة لا اثر فيها، والخزانة خالية، وحينذاك توجهت الشبهة نحو امين تلك الخزانة، «النقيب هوارد» وانحصرت به وحده. كان النقيب «هوارد» هذا يسكن في احدى غرف معسكرات مصطفى باشا القريبة من القاهرة. وما ان غادر غرفته تلك حتى توجه الى المعسكر فتناول عشاءه مع زملائه في مطعم الضباط، وبعد ان امضى وقتا قصيرا في السمر معهم تركهم، واوى الى غرفته في ساعة مبكرة ولم يكن يبدو من تصرفاته ما يثير الشك فيه الى ان عاد الى عمله في صباح اليوم التالي. وقد اطمأن ضباط الاستخبارات بان السر الذي تحويه تلك الخريطة لم يفش حتى ذلك الوقت

ما ان وصل النقيب هوارد الى مكتبه حتى استدعاه القائد العام في المعكسر

فمكث لديه زهاء ساعة يبحثان بعض الاموز العسكرية. وفي خلال هذه الفترة فتح ضباط الاستخبارات الخزانة الحديدية في غيابه، فعثروا فيها على الخريطة، واذ ذاك استبدلوها بخريطة مصطنعة رسمت عليها المواقع بشكل مغلوط، تيقظا لعدم تسرب المواقع الحقيقية اذا ما فشلت خطتهم لضبط النقيب هوارد متلبسا بالجريمة

في مساء ذلك اليوم اخذ النقيب هوارد الخريطة معه الى المعسكر فتناول عشاءه في مطعم الضباط، وجلس للسمر مع زملائه بعض الوقت، ومن ثم عاد الى غرفته فاوي الى فراشه، دون ان يتصل باي مخلوق كان. استمر الوضع على هذه الشاكلة مدة اربعة ايام قام خلالها ضباط الاستخبارات بتفتيش غرفة النقيب هوارد تفتيشا دقيقا ولاكثر من مرة واحدة، من دون ان يعثروا على شيئ يثير الريبة والاشتباه به

في مساء اليوم الرابع حدثت غارة المانية كبيرة على ميناء الاسكندرية، واصابت الطائرات المغيرة بدقة المواقع الاصلية للمدافع المضادة للطائرات التي رسمت على الخريطة الاصلية، الامر الذي ادهش ضباط الاستخبارات، وجعلهم يقدمون على اقتحام غرفة النقيب هوارد في فجر اليوم التالي وهو نائم فيها، حيث وجدوا الخريطة المصطنعة تحت وسادته. وحين سئل عن جلية الامر اجاب بانه رجل تحيط به الوساوس جراء عمله هذا، وانه يخشى ان يترك الخريطة في الخزانة الحديدية مخافة السطو عليها بطريقة ما، ولذلك فهو يفضل ان يحملها دوما، ويضعها تحت وسادته حين ينام

عند هذا الحد، اتجه تفكير ضباط الاستخبارات الى مراقبة الضابطين الآخرين اللذين يحرسان الخرائط، وهكذا وضعت الرقابة المشددة، على العقيد المصري امين خزانة رئاسة اركان الجيش المصري، والنقيب امين خزانة مكتب البحرية البريطانية

دلت التحريات الدقيقة التي توصل اليها ضباط الاستخبارات ان العقيد المصري لا يختلط مع اي من الاشخاص حتى مع زملائه الضباط انفسهم. وبمجرد ان ينتهي عمله الرسمي يعود الى بيته ليصرف جل وقته مع زوجته

واولاده، او يصحبهم في نزهة قصيرة او يذهب بهم الى احدى دور السينما ليس الا،اما ضابط الخزانة الخاصة بالبحرية البريطانية، وهو النقيب هيوز فقد اتضح بانه كان يتردد على فتاة ايطالية حسناء تقيم في منطقة «الرمل» بالاسكندرية تدعى «ماريا الفتيري» كانت تعيش مع والدها الايطالي الاصل في مرسى مطروح حيث كان يشتغل في التجارة، وقد اعتقل مع غيره من الايطاليين بعد قيام الحرب العالمية الثانية، وترك ابنته لتزاول مهنته بدلا عنه. وحين تحولت مدينة مرسي مطروح الى مركز حربي غادرتها «ماريا» وحطت رحالها في الاسكندرية فاقامت في بيت انيق في منطقة الرمل، ونظرا لبراعتها في الموسيقى والغناء فقد حولت بيتها الى ندي لهواة الموسيقى والغناء، مما جعل الضباط البريطانيين يترددون عليها كثيرا، وكان من بينهم النقيب هيوز الذي عكف على زيارتها كل مساء

اندس احد ضباط الاستخبارات بين الضباط الذين يترددون على «ماريا» وراحوا يراقبون بدقة كل ما يجري في دارها. ولقد وجد هؤلاء الضباط، ان غالبية الضباط المترددين على بيت ماريا لا يفدون عليها الا في يوم الاحد من كل اسبوع وهو اليوم الذي تقيم فيه حفلاتها الموسيقية الاسبوعية. اما هيوز فانه كان يتناول غداءه عندها ويقضي فترة الراحة بعد الغداء، ثم يعود الى زيارتها مساء. ولذلك صمم ضباط الاستخبارات على ان يطلعوا على كل ما يجري في البيت خلال الفترة التي ينفرد فيها «هيوز» مع «ماريا» وقت الغداء عند الراحة وفي المساء

اختير احد ضباط الاستخبارات المصرية، العقيد حسن، الذي كان من اصل سوداني للقيام بهذه المهمة، فتنكر في صفة خادم، وتمكن عن طريق احد مكاتب الخدم، من الالتحاق بخدمة ماريا بصفة الخادم الذي يقدم مائدة الطعام. ولقد اظهر من الكفاءة والاخلاص في عمله ما جعله يحظي بعطف ماريا ورعايتها. لم يلاحظ حسن في البيت ما يلفت النظر سوى جهاز كبير دقيق للتصوير مودع في احدى الغرف وحين كان يقوم بتنظيف ذلك الجهاز ذات يوم

فاجأته ماريا فهتفت به خذ حذرك فهذه اداة تصوير كان يعتز بها والدي كثيرا، وانني اخشى عليها خشية بالغة من العطل. والحقيقة ان آلة التصوير هذه لم تثر اهتمام الضباط الذين كانوا يفدون الى بيت ماريا.

ما ان توطدت مكانة حسن لدى ماريا حتى عمدت القيادتان المصرية والانكليزية المشتركة الى وضع خريطة مزيفة لمواقع المدافع المضادة للطائرات في ناحيتي السلوم وكوم الدكة، واودعت ثلاث نسخ منها في الخزانات الحديدية المحفوظة لدى الضباط الثلاثة. ثم صدرت التعليمات الى حسن ان يقوم بمراقبة كل ما يجري في دار ماريا مراقبة شديدة. مر يومان دون ان يحدث ما يثير الاهتمام ذلك ان هيوز، كان يتردد على بيت «ماريا» في المواعيد المعتادة، ويجلس مع صاحبة الدار لتناول الغداء او العشاء، ويتسامر معها علانية وعلى مرأى من حسن، دون ان تبدر منها كلمة او حركة تدعو الى الشك او الريبة.

في اليوم الثالث جاء النقيب هيوز الى دار «ماريا» كعادته وقت الظهر، وما لبث ان دخل الغرفة الداخلية التي يوجد جهاز التصوير فيها، حيث رآه حسن خلسة، وهو يقوم باعداد الجهاز للعمل، ثم يتركه، ويتناول غداءه بسرعة. كانت الساعة قد بلغت الثانية بعد الظهر، وانذاك سلمت «ماريا» الى حسن، رسالة مغلقة، وطلبت اليه ايصالها الى ابنة عم لها تدعى «زيزنيا» تقيم في ضاحية ابي قير.

وما ان خرج حسن من بيت ماريا حتى توجه الى ادارة الاستخبارات فاتصل برؤسائه يخبرهم بالامر، وكان وهو في طريقة الى ادارة الاستخبارات قد فض الرسالة فقرا فيها ما يلي(عزيزتي زيزينا: كل شئ على ما يرام. انني انتظر الآن مجئ ماريو الى اللقاء). فهم ضباط الاستخبارات من تلك الرسالة ان لدى ماريا اعوان وشركاء يعملون معها في التجسس، كما فهموا منها ان «ماريا» ارادت بارسال «حسن» لايصال هذه الرسالة ابعاده عن البيت خلال تلك الفترة، وان النقيب هيوز قد اخذ الخريطة المزورة معه في ظهر ذلك اليوم الى بيت ماريا يصور نسخا منها، ثم يعيدها الى مكانها في الخزانة بعد عودته الى مكتبه.

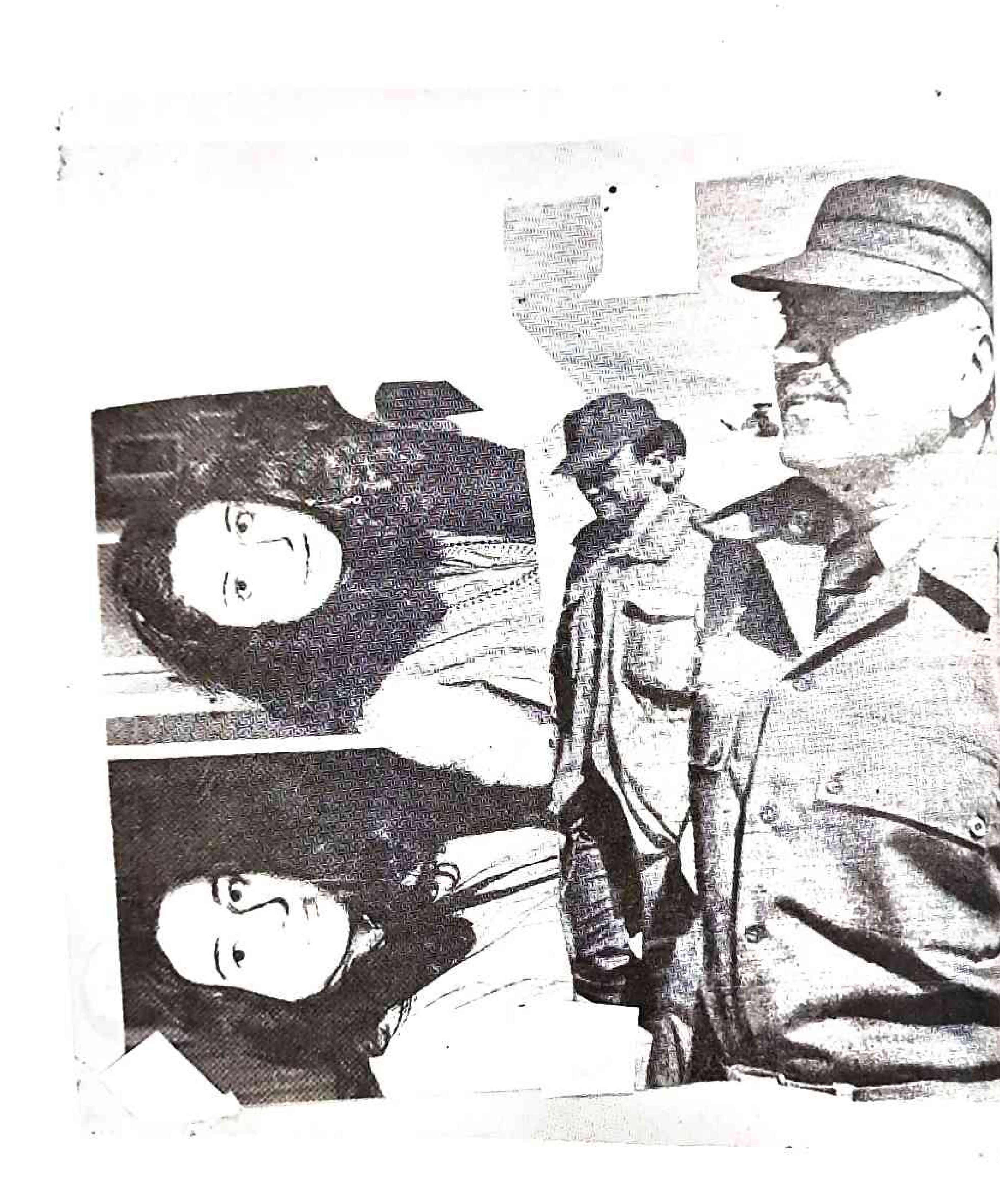
كمن بعض ضباط الاستخبارات على مقربة من بيت «ماريا» حتى اذا ما غادر هيوز البيت القوا القبض عليه ففتشوه جيدا وعثروا على الخريطة التي في عهدته، فاقتادوه بصمت الى مكتب الاستخبارات البريطانية التي بدأت التحقيق معه على الفور.

اما حسن فانه ما ان سلم الرسالة الى زيزينا حتى فضت غلافها وقرأتها ثم قالت له «حسنا!» عد واخبر الست حاضر، فعاد الى ماريا وابلغها الجواب الذي تلقاه من زيزينا. بعد ساعة ونصف من ذلك الوقت وصل الى بيت ماريا ضابط انكليزي طيار لم يره حسن من قبل فاختلى بماريا في غرفة الاستقبال التي اغلقا بابها، وراحا يتهامسان، ولم يسمع حسن من حديثهما شيئا سوى مناداة ماريا ذلك الطيار باسم ماريو، كما رآها تسلم ذلك الرجل مظروفاً مغلفاً.

بعد فترة قصيرة غادر الضابط الطيار بيت ماريا فراح ضباط الاستخبارات يتعقبون خطواته حتى وصل الى المطار العسكري في ابي قير واتجه الى غرفته، واذ ذاك اقتحم ضباط الاستخبارات عليه الغرفة فاوثقوه، وفتشوه فعثروا معه على صورة واضحة للخريطة.

كشف التحقيق عدة اشياء مثيرة حقا. لقد ظهر بان ماريو ذاك لم يكن سوى جاسوس ايطالي من جواسيس المحور، وقد انتحل صفة ضابط انكليزي طيار باسم «والتر رالف، وكان يقوم بمهمة تصوير الخرائط التي ينقلها النقيب هيوز بجهاز التصوير المودع لدى ماريا، ليتم ارسالها الى سلطات المحور في ليبيا، عن طريق الطائرة التي كان يقودها ويخرج بها صباح كل يوم للتدريب والمناورة في الصحراء.

ثم القاء القبض على العصابة كلها في الاسكندرية وفي ابي قير، وهم النقيب هيوز وماريا الفتيري، وماريو الطيار المزيف، وزيزينا. وهكذا وقع الاربعة في المصيدة، وكان «السفرجي» حسن هو الذي اصطاد الفئران الاربعة!.



الفصل السادس والعشرون

والد الفتاتين الجميلتين

والد الفتاتين الجميلتين !

كان يقيم في القاهرة منذ امد طويل شيخ مسن يوناني الاصل يدعى «كوستى فاسيلس». وكان يدير فندقا صغيرا من فنادق الدرجة الثانية. وعندما قامت الحرب العالمية الثانية وغدت مصر من بين الاقطار التي زحفت اليها تلك الحرب، احتاجت السلطات الانكليزية في مصر الى استئجار عدد من المنشئات لتمشية اعمالها. ورغم صغر ذلك الفندق فان السلطات البريطانية قد استأجرته نتيجة نظافته وتنظيمه واناقته.

كان صاحب الفندق يعيش مع ابنتيه الجميلتين «فلورا» و «ماريكا» في غرفتين بالطابق الاعلى، وبقوا يعيشون فيها حتى بعد ان تم تأجير الفندق للسلطات البريطانية، التي وفرته، مثل غيره من المنشئات الاخرى، لسكنى الضباط الانكليز فيه، والذين كانوا يشعرون وكأنهم يعيشون في بيوتهم نتيجة العناية التي كان يبديها صاحب الفندق وابنتاه لهم، وبتوفير كل وسائل الراحة لهم.

وفي احد الايام تلقى النقيب «موريسون» من ضباط دائرة الاستخبارات البريطانية، تقريرا عن الفندق، بعد ان تحقق تسرب كثير من اسرار الامدادات

والتموين الحليفة، وعلى الاخص بعد ان نجحت غواصات المحور وطائراته في اغراق عدد كبير من السفن البريطانية المرابطة في الشرق الاوسط.

ما ان انتهى النقيب موريسون من قراءة التقرير، حتى دخل عليه العميد «مكارتي» مدير مكتب الامدادات والتموين، والذي طلبه قبل قراءة التقرير. وما ان جلس مكارتي في مقعده حتى بادره النقيب موريسون بالسؤال التالي.

- هل يوجد موظفون مدنيون في مكتب الأمدادات والتموين ؟

- لايوجد احد سوى الضابط المختص ومعه تسع فتيات متطوعات ينهضن باعمال كتابة الرسائل والمراسلات الاخرى على الآلة الطابعة.

- هل ان هؤلاء الفتيات انكليزيات ؟

- لاتوجد بينهن سوى انكليزية واحدة هي سكرتيرتي «مس دورا».... واما الباقيات فمن جنسيات مختلفة، يونانيات، وارمنيات، وفلسطينيات.

- لابد انك انت الذي تكتب المراسلات السرية ؟

- اجل !

- وهل تكتبها بخط يدك ؟

- لا.. انني امليها على مس دورا فتكتبها مباشرة بالالة الطابعة وهي جالسة الى جانبي. وتكون هذه الرسائل عادة من اربع نسخ. ما ان تنتهي دورا من كتابتها حتى اتسلمها منها، فاضع النسخة الاصلية في مظروف اختمه بالشمع الاحمر واضع توقيعي عليه، ثم اسلمه على الفور بنفسي الى مدير الامدادات العام ليتولى ايصاله الى الجهة المرسل اليها.

- وماذا عن النسخ الثلاث الباقية ؟

- اضعها في خزانة حديدية كبيرة في مكتبي، ومفتاح هذه الخزانة مربوط بسلسلة اعلقها دوما في عنقي زيادة في الحذر والاحتياط.

- الا يدخل احد مكتبك سوى «المس دورا» ؟

- لايدخله احدى سوى مراسلي «وليامز» الذي يتولى خدمتي في المكتب وفي الفندق ايضا -

- متى اخذت انباء المكتب تتسرب الى الخارج ؟

ـ منذ سنة تقريباً

ـ هل حصل تغيير بين الضباط والمتطوعات في المكتب خلال هذه المدة ؟

ـ لم يحدث اي تغيير بينهم قط.

ـ حسنا ! منذ غد سوف اكون واحدا من ضباط مكتبك، وان يذاع غدا نبأ يقول ان ضابطا جديدا نقل من الصومال سوف يصل، وان تصدر اوامرك باعداد غرفة لي في الفندق الذي تنزل فيه مع ضباطك.

في مساء اليوم التالي وصل الى الفندق الذي يملكه اليوناني ضابط برتبة ملازم اول يدعى «هاكنغ» ذكر عنه بانه منقول من الصومال الى مكتب الامدادات والتموين في القاهرة. وسرعان ماقام صاحب الفندق بارشاده الى الصالة الكبيرة التي كان يجلس فيها العميد مكارتي مع بعض ضباطه، حيث قدم هذا الملازم الاول نفسه الى مدير المكتب وبقية الضباط فرحبوا به.

بدأ النقيب موريسون عمله في المكتب تحت اسم الملازم الاول «هاكنغ»، وراح يراقب بدقة سير العمل فيه، فوجد كل شئ يسير على مايرام ولم يلاحظ سوى ان المراسل «وليامز» كان آخر من يخرج من غرفة المدير بعد ان ينتهي من تنظيفها. وقد ظل يراقب ذلك المراسل مراقبة شديدة فلم يجد في مسلكه وتصرفاته مايثير الشكوك فيه.

ومع ذلك فقد لاحظ موريسون في الفندق اشياء استرعت انتباهه. لقد وجد بين النزلاء الدخلاء في الفندق ضابطا طاعنا في السن برتبة «رائد» يدعى «ميتشل»، ولاحظ ان «فلورا» ابنة صاحب الفندق الكبرى تتردد عليه دوما، وتكاد لا تفارقه الامر الذي اثار استغرابه ودهشته. وزاد استغرابه عندما لاحظ ايضا، ان فلورا واختها «ماريكا» وابوهما يقضون وقتاً طويلا في غرفة الرائد ميتشل كل ليلة وان وليامز مراسل مدير مكتب الامدادات كان ينضم اليهم في بعض الليالي، بعد ان يأوى رئيسه الى فراشه.

بدأ موريسون بالتعرف على الرائد ميتشل الذي قيل له عنه بانه من اطباء القوات البريطانية في فلسطين، وانه قد اوفد للاشتراك في الاشراف على شحن

كميات من الادوية من مصر الى ميناء حيفا في فلسطين. اخذ موريسون يتعمد استدراج ذلك الرائد الى بعض الامور الطبية فوجده على علم واسع بها، مما اضعف ناحية الشك فيه. ومع ذلك واصل موريسون تحرياته فاتصل بادارة المخابرات الانكليزية في فلسطين حول حقيقة الرائد ميتشل. وكم كانت دهشته عظيمة عندما جاءه الرد من فلسطين بانه لا يوجد ضابط بهذا الاسم، وان المخابرات لاعلم لها بتلك المهمة التي زعم بان ميتشل قد كلف بها.

وفي ذات مساء انبأ ميتشل النقيب موريسون، بان مهمته قد انتهت في القاهرة، وانه عائد غدا بالسيارة الى فلسطين، فتظاهر موريسون بالاسف لفراقه بعد ان اطمأن الى صداقته ومحبته.

في صباح اليوم التالي ارتدى الرائد ميتشل ملابسه بعد ان تناول فطوره ثم قرع الجرس يدعو الخادم لكي يحمل حقائبه الى السيارة التي تقف في انتظاره امام الفندق. وحين انبأه الخادم بان العميد مكارتي يود ان يقابله قبل سفره، طلب الى الخادم ان ينقل حقائبه الى السيارة ريثما يواجه العميد مكارتي في غرفته. وعندما دخل الغرفة نهض العميد مكارتي مبديا له أسفه الشديد لرحيله، ثم رجاه بان يحمل معه رسالة الى زميله مدير مكتب الامدادات والتموين في حيفا، ورجاه ان يسمح له بكتابة تلك الرسالة التي استغرقت كتابتها وقتا لابأس به.

كان موريسون قد اتفق مسبقا مع مكارتى على كل خطوة للكشف عن حقيقة ذلك الرائد. في الفترة التي دخل فيها الرائد ميتشل غرفة العميد مكارتى كان موريسون قد فتش كل حقائب ميتشل فلم يعثر فيها على شئ سوى جهاز ارسال لاسلكي صغير. وقبل ان يضع مكارتى الرسالة التي كتبها في المظروف دق جرس الهاتف في الغرفة الداخلية، فاستأذن مكارتى من ميتشل ان يرد على النداء وتعمد ترك الرسالة مفتوحة على مكتبه. كان المتحدث في الهاتف هو النقيب موريسون الذي اخبر مكارتى بما سيحدث. قال موريسون ان ميتشل سوف يقابل صاحب الفندق وابنتيه قبل رحيله دون ادنى شك، ولربما كان الشئ الذي نبحث عنه موجودا لدى الاب وابنتيه ولسوف يتسلمه منهما ولا بد لي ان

افتشه شخصيا قبل ان يرحل:

- وكيف تستطيع ان تدبر ذلك ؟

- ارجو ان تخرج لتوديعه عند الباب، وعندما يجتاز الشارع الى الجهة المقابلة التي تقف السيارة التي تنتظره فيها، سوف تقبل سيارة تصدمه وتلقيه ارضا، واذ ذاك تسارع انت فتنقله على الفور الى المستشفى العسكري رقم (٨) الواقع في «حلمية الزيتون» ومن ثم ساتولى انا نفسي بقية المهمة بعد ان رتبت الامور مع المسؤولين في المستشفى عما ينبغي عمله.

وضع العميد مكارتى، بعد انتهاء المكالمة الهاتفية، الرسالة التي كتبها في مظروف وسلمها الى ميتشل ثم خرج ليودعه، واذا بصاحب الفندق وابنتيه ينتظرونه لتوديعه، واذا وادعهم وشكرهم انطلق الى الشارع وما كاد يحاول عبوره حتى فاجأته سيارة بالفعل فاسقطته على الارض، حيث تكفل العميد مكارتى بتنفيذ التعليمات التي اتفق عليها مسبقاً مع النقيب موريسون.

وصل ميتشل الى المستشفى العسكري في حالة اغماء وادخل غرفة العمليات فاعطاه الطبيب مخدرا وقتيا، ثم نزعت ثيابه عنه فوجدوا فيها مظروفا متوسط الحجم مختوما بالشمع الاحمر عليه ثلاثة اختام تمثل رأس نسر. اخرج موريسون مطواته فسخنها على النار، ثم فتح بها المظروف دون ان يتلف الاختام عليه، لكنه لم يجد في ذلك المظروف سوى بضع اوراق من اوراق «الكربون» التي تستعمل في الطبع، وحين وضع تلك الاوراق تحت النور وجد انها تضم صورة تقرير سري كان العميد مكارتى قد اعده صباح اليوم السابق.

اعاد موريسون الاوراق في المظروف ثم ذهب من فوره الى العميد مكارتى فقص عليه ماوقع ثم سأله قائلا.

- هل تستعملون اوراقا جديدة عند طبع كل تقرير على الالة الكاتبة ؟

- اجل كل صحيفة جديدة من التقرير تطبع بورقة جديدة من «الكربون».

- وما هو مصير هذه الاوراق الكربونية بعد انتهاء الطبع ؟

- المفروض إن «دورا» تعمد الى اتلافها بعد الانتهاء منها فورا.

- استمع ايها العميد ! لقد غدا الامر واضحا الآن كل الوضوح ان

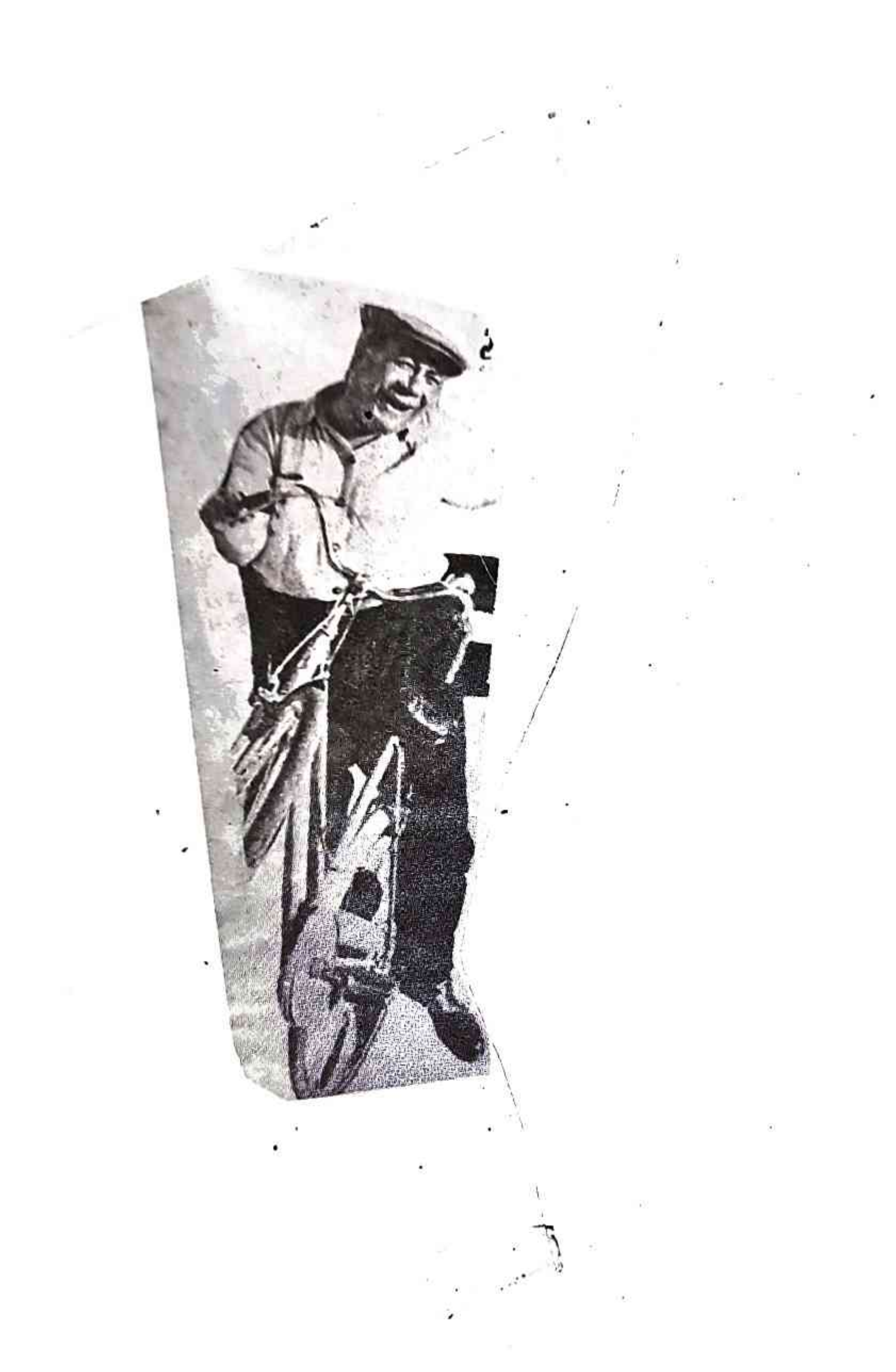
سكرتيرتك «دورا» ومراسلك «وليامز» وصاحب الفندق وابنتيه والرائد ميتشل، كلهم اعضاء في عصابة من جواسيس المحور.

- شيئ مدهش ! والآن مالذي ستفعله ؟

- لاشيئ الا ان تلقي القبض عليهم جميعا متلبسين بالجريمة. ان ميتشل مضطر الى البقاء بضعة ايام في المستشفى. وفي هذه المدة ينبغي لك ان تكتب عدة تقارير اخرى، ولسوف تنتهز كل من «دورا» والمراسل «وليامز» كل فرصة لايصال محتويات هذه التقارير الى ميتشل.

ونفذ العميد مكارتي مااقترحه موريسون، ونجحت الخطة نجاحا منقطع النظير، وتم القاء القبض على الجميع متلبسين بالجريمة واعترفوا جميعا بجرائمهم. لقد ظهر من التحقيق ان كلا من «دورا» و «وليامز» وميتشل كانوا من الالمان تنكروا بحذق فدخلوا في صفوف الجيش الانكليزي، وانطلى تنكرهم على الجميع، وان صاحب الفندق وابنتيه من اصل الماني كانوا ينتحلون الجنسية اليونانية..

كانت «دورا» بعد ان تنتهي من كتابة التقارير، تلقي باوراق الكربون التي استعملتها في سلة المهملات، فيقوم المراسل وليامز بايصالها الى صاحب الفندق، الذي يسلمها بدوره الى ميتشل ليقوم هذا بابلاغها الى دول المحور عن طريق جهاز الارسال الذي ضبط في حقائبه. وقد ظهر ايضا ان ميتشل كان يروم في ذلك الصباح السفر الى الاسكندرية لمقابلة جاسوس الماني جديد يحل محله في فندق اليوناني بعد ان يدربه على قراءة التقارير واستعمال جهاز الارسال، وقد تم القبض على ذلك الجاسوس الجديد، وقدم للمحاكمة وتلقى ذات الحكم الذي صدر بحق كل افراد العصابة المذكورة.



الفصل السابع والعشرون

الجاسوس المزدوج

الجاسوس المزدوج!

كان هناك اثنان من الاجانب الذين توطنوا مصر قبل الحرب العالمية الثانية، قد تعارفا وتصادقا، ولكن الظروف ما لبثت ان فرقت بينهما فلم يعودا يلتقيان. كان الاول منهما بلجيكياً يحمل الجنسية المصرية يدعى «هنري جيد» يعمل في احدى الشركات في القاهرة. وما ان قامت الحرب حتى جند نفسه لخدمة المخابرات البريطانية وراح يحصل جراء ذلك، على مكافآت سخية.

اما الثاني فهو يوناني الاصل من مواليد مصر، يدير حانوتا صغيرا في حي «الأزبكية» بالقاهرة لتجارة الساعات واصلاحها ويدعى «مانولي ميخاليدس». وكان حتى سنة ١٩٤٠ يعيش مع زوجته السورية الاصل في بيت مستقل. وحين ذهبت زوجته في أوائل صيف تلك السنة لتصطاف وتزور عائلتها في سوريا كما اعتادت ذلك كل عام، اضطرت الى البقاء في سوريا بعد ان سيطرت قوات دول المحور على سوريا ولبنان، فلم تستطيع العودة الى مصر لاغلاق الحدود معها.

كان الاثنان قد تعارفا لاول مرة ذات امسية من اماسي ايام الاحد، عندما جلسا معا على مائدة واحدة فى حفلة ساهرة اقامتها صاحبة النزل الذي

كانا ينزلان فيه اول الامر .وبعدان تكررت لقاءاتهما بعد ان بدأت الحرب العالمية الثانية، قص الشاب اليوناني على صديقه البلجيكي ما حصل لزوجته بعد ذهابها الى اهلها في سوريا، واحتجازها هناك نتيجة سيطرة دول المحور على سوريا.

ولقد تأثر الشاب البلجيكي تأثرا قويا بذلك الحادث الذي جعل صديقه ينطوي على نفسه، ويهجر بيته ويقيم في ذلك المنزل الذي يقطنه صديقه البلجيكي وفي غرفة مجاورة له. ولذلك سعى هذا البلجيكي في تخفيف الاسى عن صديقه فالحقه بعمل في دائرة المخابرات البريطانية لقاء مرتب محترم، ومن ثم سعى جاهدا ليكي يصحبه معه في سفرة الى تركيا فلعل صديقه يستطيع ان يستدعي زوجته من سوريا فيراها، ثم يحاول اعادتها معه الى مصر.

بعد اسابيع استقل الصديقان احدى الطائرات الى تركيا، وقد اتفقا بان ينزل كل منهما في فندق خاص كيلا ينتبه جواسيس المحور اليهما، وان يلتقيا في مكان معين كلما دعت الضرورة الى ذلك. كان هنري يدرب مانولي على كيفية العمل، ويكلفه باداء بعض الخدمات التي كان مانولي يقوم بانجازها على احسن وجه. ولقد نجحت مساعي الاثنين لدى رؤسائهما في تسهيل مهمة سفر زوجة مانولي من سورية الى تركيا.

مضى اسبوع باكمله دون ان يلتقي مانولي بصديقه هنري كما اتفقا على ذلك، وحاول ان يعثر عليه في الفندق الذي يحل فيه فلم ينجح، ولذلك عمد الى الاستفسار من رؤسائه في اسطنبول عن اختفاء «مانولي» ودوافعه، وكم كانت دهشته بالغة عندما وجد امامه صديقه «مانولي» في مكتب احد اولئك الرؤساء وهو في حالة يرثى لها. وسرعان ما اطلع هنري على السر الخطير الذي كان يحيط بصديقه مانولي. فقد ظهر له ان مانولي ذاك لم يكن سوى جاسوس خطير من جواسيس الالمان والايطاليين. واكثر من هذا دهشة ان مانولي هو نفسه قد كشف عن حقيقته امام رؤساء مكاتب المخابرات البريطانية في اسطنبول وكتب اعترافاته بخط يده ووقعها بتوقيعه.

لقد سجل مانولي في نلك الاعترافات الحقائق التالية «في اوائل شهر اذار سنة ١٩٤١ جاءني الى حانوتي في القاهرة، رجل اجنبي في حوالي الخمسين من عمره وقدم نفسه الي باسم «ارستيد فولنغر» تاجر ساعات سويسري قدم من سويسرا الى مصر يحمل وكالات من مصانع الساعات السويسرية للبحث عن وكلاء لتصريفها في القطر المصري ولقد تم الاتفاق بيني وبين ذلك التاجر على ان اعاونه في مهمته لقاء عمولة محددة، ومكافأة خاصة دفع لي منها سلفا مائة جنيه. كان من الطبيعي ان ارحب بهذا الاتفاق، وان اوثق علاقاتي مع الرجل وبذلك لم اعد افارقه لا في ليل ولا في نهار.

وحدث ذات مرة ان جلست معه لتناول الشاي في فندق «شبرد» بالقاهرة والذي كان ينزل فيه، فافضيت اليه بهمومي بشأن احتجاز زوجتي في سوريا والعقبات التي وقفت في طريق عودتها الى مصر. اظهر الرجل تأثرا بالغا للامر ثم ما لبث ان اصطحبني الى غرفته في الطابق الثاني من الفندق، وذكر لي بانه سوف يفضي الي، في هذه المناسبة بنبأ مهم، قد يكون من ورائه الفرج لحل مشكلة زوجتي.

وحين جلسنا في غرفته اسر الي بانه يستطيع ان يتوسط لدى السلطات المحورية في سوريا بان تعيد لي زوجتي شريطة ان اقدم لتلك السلطات خدمات بسيطة، هي ان امدها بكل ما يقع تحت يدي من معلومات عن قوات الحلفاء في مصر، عن عددها والاماكن التي تتمركز فيها وتحركاتها. . . . ولما كنت شديد الشوق للالتقاء بزوجتي، فقد وافقت على ما عرضه علي، وان كنت اعلم بما ساتعرض له من اخطار. وقبل ان انصرف نفحني بمائتي جنيه عربونا للاتفاق الجديد، وانبأني بانه ذاهب الى اسطنبول بعد يومين حيث يقضي هناك بضعة اسابيع، كما ذكر لي بانه سيزورني غدا في منزلي القديم الذي هجرته بعد سفر زوجتي، وان انتظره هناك في ساعة مبكرة من الصباح.

في ذلك الموعد حضر الرجل الى المنزل وكان يحمل في يده صندوقا من الورق، ما لبث ان فتحه امامي واخرج منه جهاز ارسال لاسلكي وشرع

يدربني عليه الى ان اطمأن على نجاحي في ذلك ومن ثم ودعني وانصرف على ان يغادر القاهرة غدا الى تركيا، بعد ان اعطاني ثلاثمائة جنيه لانفقها في غيابه.

كان من بين الصدف العجيبة انني حصلت بعد ايام على تقرير خطير اعده احد الصحفيين اليونانيين عن معسكرات الحلفاء التي زارها في الشرق الاوسط فاسرعت بابراق محتويات ذلك التقرير الى «فولنغر» في المكان الذي حدده لي في تركيا. وتبع ذلك انني تعرفت الى زميلي «هنري جيد» في النزل (البنسيون) الذي كنا ننزل فيه معا. وحين حصلنا انا وهنري جيد على اذن بالسفر الى تركيا، ابلغت «فولنغر» بالامر وان ينتظرني في مطار اسطنبول. وما ان هبطت الطائرة المطار ونزلت منه حتى لحظت فولنغر بين المستقبلين فصافحني ودس في يدي ورقة صغيرة دون ان يلحظها احد وانصرف.

كان فولنغر قد عين لي في تلك الورقة الصغيرة المكان الذي نلتقي فيه، وهو مقهى جمهوريت، في مساء اليوم التالي، حيث توالت لقاءاتنا هناك، وكنت خلالها امده بكل ما كنت اجصل عليه من «هنري جيد» من معلومات، ومن بينها تحركات هنري واسماء الرجال الموالين للحلفاء في تركيا. وكان فولنغر لا يفتأ خلال هذه المدة يمنيني بان مساعيه بشأن زوجتي قد اوشكت ان تنجح.

وحدث ذات يوم ان التقيت في ملهى «ستوديو» في اسطنبول بابن عم زوجتي وحين سألته عنها، فاضت الدموع من عينيه، وانبأني بانها قد توفيت منذ اشهر، ولذلك غادرت المكان، ولم انتظر قدوم هنري جيد الذي وعدته بان الاقيه هناك، وانطلقت مسرعا الى «فولنغر» في الغرفة التي ينزلها في احد الفنادق فافضيت اليه بالنبأ، فراح يعزيني وينبئني بانه علم بذلك الامر منذ مدة لكنه لم يشأ ان يفجعني به، وراح يغريني بان اواصل العمل معه. واذ ذاك لم اتمالك اعصابي، فهجمت عليه وامسكت بعنقه وضغطت عليه بيدي الاثنين حتى سقط جثة هامدة لا حراك بها، ومن ثم اغلقت باب غرفته بهدوء، واسرعت بالذهاب الى مكتب المخابرات البريطانية، لافضي الى رئيسه بكل ما لدي من معلومات عن نفسي وعن فولنغر.

تنويه : الفهرس غير متوفر في النسخة الأصلية وتمت اضافته لتسهيل البحث المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي

هذا الكتاب

كانت البلاد العربية قبل بدء الغزو الاوربي لها في القرن الخامس عشر وما تزال تعتبر من المسارح المهمة لاعمال التجسس التي تمارسها الدول الطامعة فيها غربية كانت ام شرقية، اوربية ام آسيوية.

وقد نشطت عمليات التجسس هذه بصفة اخص قبيل الحربين العالميتين الاولى والثانية او خلالها.

ان هذا الكتاب على صغر حجمه يروي قصصاً مثيرة عن عمليات التجسس في البلاد العربية وعلى وجه التحديد في العراق وسوريا ولبنان وفي مصر، ويكشف عن الصراع الذي ينشب عادة بين مختلف الجواسيس حسب انتماءاتهم وخدمتهم للدول المتنافسة والمتحاربة.

ولذلك نقول بكل ثقة انه كتاب جدير بالقراءة ولسوف نتبعه بكتب اخرى مماثلة.

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
٩٢ لسنة ١٩٨٦
منشورات دار العصور / بغداد
السعر ١,٧٥٠ دينار

صمم الغلاف ليث ميخو